

المنهج النقدي بين الفلسفة والدين عند مفكرى الإسلام

د. الصاوى الصاوى أحمد
كلية التربية جامعة قناة السويس

المقدمة:

يعد المنهج الأساس الأول لأى بحث علمى إذ لا يتصور إقامة أى علم من العلوم بدون وضع منهج مناسب لهذا العلم. فإن العقل أو الذوق السليم لا يكفى لسد باب الخلاف بين الناس. وإن كان العقل أو الذوق يكاد يكون واحدا عند الجميع وبالرغم من هذا ينشأ الخلاف فالمهم هو توجيه الناس لأذهانهم، من خلال المنهج الذى يتبعونه فى تفكيرهم أو فى حياتهم، فليس يكفى أن يكون للإنسان قريحة جيدة بل الأهم أن يستعملها استعمالا جيدا وهذا لا يتم إلا بالمنهج الجيد.

ولهذا فقد تعددت المناهج حسب موضوع العلم، فهناك المنهج الاستنباطى والمنهج الاستقرائى والمنهج التحليلى، والمنهج التجريبي، والمنهج الجدلى، وكل هذه المناهج لا بد من أن يطعم بالمنهج النقدي. فكل المناهج السابقة وغيرها لا بد وأن يدخل فيها النقد. فهو من هذا المنطلق يعد عمدة المناهج. هذا المنهج الذى يفتقد إليه الكثيرون لأسباب: منها اعتقادهم بأن النقد ما هو إلا سب وتجريح وبيان العيوب فقط ولم ينظروا للجانب الإيجابى للنقد، كما أنهم لم يفتنوا إلى أهمية النقد فى شحذ العقول، ووصف وتحليل القضايا المعروضة.

ولولا النظرة النقدية للظواهر الكونية وفكر السابقين؛ لما وجد لدى الباحثين والعلماء والمفكرين موضوعات للبحث والدراسة ولأصبح الإنسان متبعا لا مبدعا، مقلدا لا مجددا، مستهلكا لا منتجا، فإذا لم تنظر للأشياء نظرة نقدية مانت لدينا روح الابتكار والاختراع والإبداع.

ولهذا فنحن فى أمس الحاجة إلى تنمية الروح النقدية فىنا إضافة إلى تقنينها أى وضعها فى موضوعها الصحيح من خلال منهج له شروطه وقواعده، وتحديد مجالات

وموضوعات النقد، فلا نقد في كل شيء، ولا في كل وقت، واتباع هذا يجنبنا الكثير من المشاكل التي يقع فيها البعض نتيجة استخدامه لنزعة النقد الفطري فينا بدون وضع ضوابط لها، على سبيل المثال إقحام البعض نفسه في الدخول في قضايا النص الديني بالنقد، دون الالتزام بضوابط النص الديني، فالنص الديني له خصائصه التي تجعلنا في حذر من الخوض فيه بالنقد عكس النص الفكري سواء كان فكرا دينيا أو فلسفيا أو أدبيا أو لغويا أو شعريا. وقد وقع كثير من الفلاسفة والمتكلمين في هذا المأزق (نقد النص الديني) فأدى ذلك إلى اتهام البعض بالزندقة والإلحاد حتى وإن كانت عقيدته صحيحة كما وقع كثير من الخلاف بين مفكرى الإسلام حول: هل النص الديني يقبل النقد شأنه شأن النص الفكري أو العقلى أو هناك فرق؟

للإجابة على هذه القضية سنعرض لما يلي:

أولا: مفهوم النقد كمنهج وخصائصه من خصائص العقل.

ثانيا: أنواع النقد من حيث الشكل والمضمون.

ثالثا: قواعد وشروط المنهج النقدي.

رابعا: أهمية النقد.

خامسا: وظائف المنهج النقدي.

سادسا: النقد والفلسفة.

سابعا: النقد والنص الديني.

وسيكون منهجنا في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي المقارن.

أولاً: مفهوم النقد

- النقد لغة:

النون والقاف والذال أصل يدل على إبراز الشيء وبروزه من ذلك: النقد في الحافر..... ومن باب نقد الدرهم، وذلك أن يكشف عن حالة في جودته أو غير ذلك⁽¹⁾.

ويقال نقد الشيء نقداً ليختبره أو ليميزه من رديئة⁽²⁾ والنقد هو المناقشة كما قال الفيروز آبادي، ناقده. ناقشه⁽³⁾. والنقد عطاء، وهو إخراج الزيف كما جاء في مختار الصحاح: (نقده الدراهم، ونقد له الدراهم وأنقدها أخرج منه الزيف، وناقده ناقشه في الأمر)⁽⁴⁾.

يتضح من خلال المفهوم اللغوي للنقد بأن النقد أساس لكي نميز الفكر الحقيقي من الفكر الزائف كما يفهم أيضاً بأنه مادة أساسية للحركة الفكرية القائمة على المناقشة والتمييز بين الغث والسمين، وبين الحق والباطل، وبين الصواب والخطأ، وبين الخير والشر عن طريق المناقشة والحوار.

- النقد مصطلحاً:

النقد في أدق معانيه: (فن دراسة النصوص والتمييز بين الأساليب المختلفة، وهو روح كل دراسة أدبية إن صح أن الأدب هو كل المؤلفات التي تكتب لكافة المتقنين)⁽⁵⁾.

ويعرفه نورثروب فراي في مقدمته الجدلية: (إن النقد بنيان في الفكر والمعرفة له وجوده الخاص)⁽⁶⁾.

ويرى الفيلسوف الألماني كانط بأنه فحص حر، أي غير مقيد بأي مذهب فلسفي وهذا الفحص عنده ينصب على مدى تطابق معاني العقل ومدركات الحس. ونقدي يعني به الروح النقدية التي تفيد التساؤل عن قيمة أي قضية ومصدرها⁽⁷⁾.

والنقد لا يكون نقداً بناءً إلا إذا كان قائماً على منهج أو موضوع في قالب منهجي له خطواته وقواعده، أما إذا أخذ النقد طريقاً غير منهجي فهو نقد عشوائي لا يفيد

الحقيقة المأمولة من استخدامه؛ لهذا يؤكد الكثير من الباحثين على ضرورة وضع النقد فى قالب منهجى: (ذلك النقد الذى يقوم على منهج تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية عامة، ويتناول بالدرس مدارس أدبية أو شعراء أو خصومات يفصل القول فيها، ويبسط عناصرها، ويصير بمواضع الجمال والقيح فيها.....)(8).

وعلى الرغم من أهمية وضع النقد فى قالب منهجى فإنه دار الخلاف واشتد حول ما إذا كان النقد يعد منهجا أم علما أم فنا ولحسم هذه الإشكالية سنعرض لها بشئ من الإيجاز.

- النقد علم أم فن:

لقد أثار موضوع علمية النقد إشكالية اختلف حولها الكثير من الباحثين والمفكرين والنقاد وأفرز هذا الخلاف ثلاثة آراء هى:

الرأى الأول: ذهب أصحابه إلى أن النقد علم وليس فنا ولا بد أن يكون علما بل هو علم يعبر عن جانب موضوعى مشترك وليس عن بعد ذاتى ويستند أصحاب هذا الرأى إلى أن النقد علم وليس فنا إلى أن عمل الفنان أو الأديب يعبر عن بعد ذاتى إلى حد كبير. فالناقد إذا درس عملا من الأعمال الفنية أو الأدبية فهنا لا بد أن يدخل فى دائرة الموضوعية، إذن يتحتم عليه وضع أسس موضوعية مشتركة يقوم عليها النقد فالعلم نحن والفن أنا(9).

أى أن العلم مشترك بين الجميع والفن يخص صاحبه فقط، ويؤكد أصحاب هذا الرأى بأن من الأحكام الخاطئة القول: (بأن النقد لا يعد علما. كلا أن الفن إذا كان يعبر عن روح ذاتية فإن النقد يعد معبرا عن الاتجاه الموضوعى فعند الوقفة الموضوعية هو علم(10).

الرأى الثانى: يرى أصحاب هذا الرأى عكس ما ذهب إليه أصحاب الرأى الأول فهم يرون أن النقد فن ولا يمكن أن يكون إلا فنا. كما أنه ليس علما حتى وإن وجب أن نأخذ فيه بروح العلم، بل لو فرضنا جدلا إمكان وضع علم له لوجب أن يقوم ذلك العلم بذاته، فأساس النقد عند أصحاب هذا الرأى. هو الذوق الشخصى الذى تدعمه ملكة تحصل فى النفس بطول ممارسة الآثار الأدبية(11).

والنقد فى أدق معانيه عندهم: (فن دراسة النصوص والتمييز بين الأسباب

المختلفة، وهو روح كل دراسة أدبية إذا صح أن الأدب هو كل المؤلفات التي تكتب لكافة المثقفين⁽¹²⁾.

ويؤكد على أنهم على أن النقد ليس علما في قوله: (لا نستطيع اليوم مع تقدم النقد واستعانه بنتائج بحوث العلوم النفسية والاجتماعية، والبحوث التاريخية واللغوية أن نقول إن النقد قد أصبح له أصوله الثابتة وقواعده الأكيدة وموازينه التي لا تخطئ، ومعاييره التي اقتربت بالدقة المتناهية، ولا نزال إلى اليوم نعلم في النقد على الذوق المهذب المصقول إلى جانب الإستعانة بالقواعد والأصول النقدية والموازين البلاغية، وعندى أن النقد مثل كتابة التاريخ يمكن أن تفيد منه كثيرا من اتباع المناهج العلمية، ولكن الاستفادة من المعلومات العلمية لم تجعل التاريخ مع ذلك علما مثل الفلك والكيمياء وسائر العلوم الطبيعية)⁽¹³⁾ ومعنى هذا أن النقد عند هؤلاء على النقيض من أصحاب الرأي الأول فهو فن وليس علما.

الرأي الثالث: ذهب أصحاب هذا الرأي إلى رفض أن يكون النقد فنا أو علما. ويمثل هذا الرأي كل من: رينيه ويليك، ونورثرب فراي، فيرى رينيه ويليك أنه على الرغم من أنه يدخل في النقد قدر من الحس الفني، ويطلب العديد من الأشكال التي يتخذها النقد مهارات فنية تأليفية وأسلوبية وللخيال نصيبه في كل أنواع المعرفة والعلوم، ومع ذلك فإنني لا أؤمن بأن الناقد فنان⁽¹⁴⁾ فههدف النقد المعرفة الفكرية إضافة إلى أنه لا يخلق عالما خياليا كعالم الشعراء أو الموسيقي. بل هو معرفة فكرية وبينما نجد أن رينيه يؤكد على رفضه أن النقد ليس فنا ولا علما بل هو معرفة فكرية تستند إلى قواعد ومقاييس، نجده يؤكد ما ذهب إليه «نورثرب فراي» في مقدمته الجدلية في كتابه تشريح النقد، إذ يرفض هو الآخر بشكل مقنع أن الناقد فنان. بل يرى أن النقد: (بنيان من الفكر والمعرفة له وجوده الخاص)⁽¹⁵⁾.

ويستدل رينيه ويليك على رأيه في أن النقد ليس علما برأى أميل إنكان عندما فشل في تصويره إمكانية أن يقيم نقدا علميا خالصا على أسس دراسة سيولوجية القراء، كما فشل أ.أ. رتشاردز عندما حاول أن يجعل من الشعر مجرد دواء مهدئ للأعصاب⁽¹⁶⁾.

كما استدل على عدم اعتقاده بأن النقد ليس فنا بقول أوسكار وايلد بأن: (الفنان

أبعد الناس عن أن يكون أفضل النقاد لأن الفنان العظيم حقا لا يستطيع أن يحكم على أعمال الآخرين أبداً، ولا يكاد يستطيع الحكم على أعماله هو....⁽¹⁷⁾ فالشاعر لا يستطيع أن يؤدي وظيفة الناقد التقويمية.

فإذا ما تفحصنا هذه الآراء الثلاثة، ونظرنا لها نظرة تحليلية. فإننا إذا ما فرضنا أن النقد علم على مذهب أصحاب الرأي الأول، نجد أن النقد أصبح هدفاً أو غاية لأن العالم له هدف وغاية من بحثه في أي علم فالعلم غاية أي باحث أو مفكر فإذا كان النقد غاية أو هدفاً فما الوسيلة التي يستخدمها للوصول إلى العلم؟ أو ما هو المنهج المستخدم إذن؟ النقد هنا في حاجة إلى منهج إذا اعتبرنا النقد علماً، وإذا قلنا أن النقد فن فالفنان مبدع فكيف يكون مبدعاً وناقداً لإبداعه والفن أيضاً هدفة الإبداع، لكن يختلف إبداع الناقد؛ عن إبداع الفنان فإبداع الفنان فطري وموهبة وإبداع الناقد عقلى منطقي ممزوج بشيء من الذوق الفني ونضرب مثلاً لذلك الشاعر عندما يبدع تتحكم فيه المشاعر والعواطف أما الناقد يكون ناقداً عليه أن يتخلص من عواطفه ومشاعره وأحاسيسه الذاتية وعليه الالتزام بالمنطق العقلي حتى يكون نقده محايداً وبناءً.

كما أن النقد مبنى على الشك في بدايته والفن مبنى على اليقين؛ لأنه نتاج أحاسيس ومشاعر يحسها الإنسان فكيف يتفق الشك مع اليقين.

ولهذا فالنقد ليس علماً وليس فناً وإن كان من وظائفه العلم والذوق الجمالي. بل هو منهج ووسيلة يستخدمها الفنان والعالم والأديب والفيلسوف واللغوي ورجل السياسة ورجل الاقتصاد وكل مفكر. وهذا المنهج النقدي يقوم على أسس نظرية أو تطبيقية عامة، ويتناول بالدرس مدارس أدبية أو شعراء أو خصومات يفصل القول فيها ويبسط عناصرها، ويبصر مواضع الجمال والقبح فيها وهو ليس علماً بل هو مقدمة ضرورية لكل علم. والتمهيد الضروري للمعرفة. ومما يؤكد وجهة نظرنا ما عرضه ستانلي هامايمين عندما تحدث عن منزع النقد وتوجهه كي يصير علماً فيقول: (من المضامين الرئيسية في النقد الحديث تطوره ليكون علماً سواء تقبلنا هذه الحقيقة مستسلمين أو ناكرين. ولكننا نتوقع منه أن يزداد تدرجياً في الاتجاه العلمي أي نحو تكوين منهجية شكلية. ونظام للمعالجة قابليين للنقل والاحتذاء موضوعياً)⁽¹⁸⁾.

ثانياً: أنواع النقد

للقد أنواع من حيث الشكل والمضمون، فهناك النقد الذاتي، ونقد الآخر، والنقد الهدام، والنقد البناء كما أن هناك النقد الفني، والنقد الأدبي، والنقد الاجتماعي، والنقد الديني والنقد الفلسفي والنقد التاريخي.... الخ هذه الأشكال والأنواع وسنعرض للبعض منها:

1- النقد الذاتي:

النقد الذاتي نعنى به: (إعلان الوعي العقلاني والتعامل مع الأفكار كقيمة ذاتية أو كوحداث موضوعية انفصلت عن الشخصية....)(19).

كما يعتبر النقد الذاتي مقدمة أساسية لنقد الآخر، فالناقد قبل أن يبدأ بنقد الآخر عليه أن ينقد نفسه من منطلق حساب الضمير والمراجعة الذاتية، أو نقد الذات لنفسها قبل تعرضها لنقد الآخر، ويؤكد ذلك الحديث النبوي: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم....)(20) ويؤكد ذلك ر. هـ. أودين بأن الآراء النقدية التي يعتمدها الكاتب: (هي أغلبها تعبيرات عن جدله مع نفسه حول ما ينبغي له أن يفعل في المرحلة التالية، وماذا يتجنب، وما الشاعر إلا ناقد يهتم بكتاب واحد....)(21).

أو هو نوع من مراجعة النفس وانقلاب من الخارج إلى الداخل، ومن الأرض إلى النفس: (وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون....)(22). وكما جاء في قوله تعالى: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم)(23) وهو جزء من الوعي التاريخي(24).

والنقد الذاتي يعد دعوة للفكر، وليس فكراً جاهزاً وهو دلالة على الأفكار ومؤشراً لها وليس الفكر المكتمل، والنقد الذاتي الحقيقي هو الذي يدعو الآخر للمشاركة في الفكرة والرأى وهو ما يتميز بأنه أعلى درجة من نقد الذات للآخر، ونقد الآخر للذات فهو يعد رؤية للذات في مراتها، اعترافاً منها بالحق والرجوع إلى الحق فضيلة، وتطهير للنفس من العمى، وحمايتها من القطيعة والتعصب والبعد عن الأهواء(25). بالإضافة إلى أن الالتزام بالنقد الذاتي يعد أولى خطوات الالتزام بالموضوعية في نقد الآخر.

أما عن موقف فلاسفة الإسلام ومتكلميهم من النقد الذاتي . فإننا نجد الكثير من مفكرى الإسلام يفتقد لديهم نقد الذات وينشط نقد الأخر. وقد أرجع البعض أسباب هذا إلى عدم اقتناع بعض مفكرى الإسلام بالقرآن أو باتخاذ الاتجاه التحليلى، والنقد للتاريخ والأشخاص والأجداد فإن: (مجرد كلمة النقد غير مرحب بها فى الوسط الإسلامى)⁽²⁶⁾. فهى إما تجريح وتشهير، وهذه ليست أخوه إسلامية، أو مروق فى الدين، أو هى مصطلح غربى غير إسلامى، فلسنا بحاجة لها. ولهذا فإن مصطلح النقد الذاتى لم يأخذ طريقه ليصبح أولاً مفهوماً غير غريب، أو لم يصبح بعد أداة تمارس بحيث تقوم كيفية الوسائل فى دورها فى تنظيف الوسط الإسلامى. مع العلم بأن الشريعة الإسلامية من قرآن وسنة تدعو إلى الفكر القائم على نقد الذات. كما أن النقد الذاتى كان مبدءاً من مبادئ فقهاء الإسلام. مثلما هو الحال عند الإمام الشافعى الذى أسس قاعدة نقد الذات فى مقولته المشهورة «رأى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب، وهذا يدل دلالة واضحة على إيمانه بأن كل ذات إنسانية قابلة للنقد سواء من نفسها أو من غيرها كما أنه يوجد مفكرى الإسلام من يعترف بتقصير النفس الإنسانية عن الكمال ولهذا يجب نقدها فيقول العماد الأصفهاني: (إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً فى يومه إلا قال من عنده: لو غير هذا مكان أحسن، ولوزيد كذا مكان يستحسن، ولو قدمنا هذا مكان أفضل، ولو ترك هذا مكان أجمل. وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقد على جملة البشر)⁽²⁷⁾.

كما أن القرآن الكريم فيه من الآيات ما يدل على محاسبة النفس ونقدها وبالرغم من هذا نجد من يقول بأن النقد الذاتى يعد مصطلحاً غريباً على الرسل. ولا يفهمونه إلا على أنه تشهير أو أنه لم تأت به كتب القدماء أو لم يرد باللفظ فى الحديث أو القرآن.

كما جاء فى قوله تعالى: (لا أقسم بالنفس اللوامة)⁽²⁸⁾.

وقوله تعالى: (فأقبل بعضهم على بعض يتلأمون)⁽²⁹⁾.

وكان نتيجة هذا الاعتقاد الخاطئ أن أصبح النقد عندنا غير علمى وغير عقلى، بمعنى أنه يعتمد على الاندفاعات الشخصية ومبنى على الظنون على الرغم من أن النقد الذاتى يفرض نقاشاً عقلانياً صادقاً ويؤدى إلى دقة علمية فائقة. لكن لا يفهم البعض هذا بل يفهم على أنه تجريح وطعن بقضية الأشخاص⁽³⁰⁾.

ولهذا نحن فى أمس الحاجة إلى مراجعة أنفسنا ومحاسبتها وإعطائها فرصة للنقد الذاتى حتى نكون مؤهلين لنقد الآخر كما كان الأمر عند الكثير من مفكرى الإسلام ممن آمنوا بنقد الذات من أمثال الكندى والفارابى والغزالى، وابن رشد وأبو حيان الترحيدى وكان هذا دافعا لنقد الآخر الذى تمثل فى نقد الفرق الكلامية بعضها لبعض .

2- نقد الآخر:

يتمثل هذا النوع من النقد فى موقف الأنا من الآخر سواء كان هذا الموقف يمثل الإيجاب أو السلب . فكلاهما نقد لأن النقد لا يمثل السلب فقط بل يمثل الإيجاب أيضا . ونقد الآخر يأتى بالضرورة فى مرحلة تالية لنقد الذات؛ لأنه لا يجب نقد الآخر قبل نقد الذات من منطلق حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا .

فإذا وجدت الذات الناقدة لنفسها، وجدت الذات الناقدة للآخر ويكون عندئذ نقدها نقدا موضوعيا بناء . لأنه ينطلق من منطلق البحث عن الحقيقة أما الذات التى تنقد الآخر دون أن تنقد نفسها تعبر عن الأنانية وعدم الحياد . ويكون النقد هنا نقدا مزيفا بعيدا عن الموضوعية التى تعتبر من أهم شروط النقد .

ويتمثل نقد الآخر لدى مفكرى الإسلام فى معظم تراث الفلسفة والمتكلمين الذين تجاوزوا الحدود الجغرافية والتاريخية فقاموا بنقد التراث اليونانى، ونقد الفكر الدينى لفرق المتكلمين . كما شمل شعراء الإسلام وأدباءه من أمثال الجاحظ وأبو حيان الترحيدى والمتنبى وغيرهم الكثير .

وأصبح الحكم على الحياة الفكرية والثقافية فى أى عصر من العصور يقاس بقدر مستوى الحياة النقدية فيه .

ويشهد على ذلك ازدهار الحياة الفكرية والعلمية والفلسفية والدينية فى الحضارة الإسلامية خلال القرن الثالث والرابع الهجريين، ويرجع هذا إلى اتساع حركة وحرية النقد التى سمح بها خلفاء الدولة الإسلامية من الأمويين والعباسيين .

3- النقد الهدام:

هذا النقد لا يلتزم بالقواعد والشروط والأسس التى يجب أن يكون عليها النقد،

على سبيل المثال النقد الذى لا يلتزم بالموضوعية يعد نقدا مزيفا وهداما، وهكذا النقد الذى لا يحدد أهدافه، ويتمثل فى حركة النقد عند الوفطانية قديما، ونقد أعداء الإسلام كما يتمثل عند النقاد الذين يقومون بالنقد فى كل شئ دون علم بمواطن الأمور، وهذا النقد مرفوض شكلا وموضوعا.

كما أن هناك مسائل كثيرة تفسد النقد وتجعله نقدا هداما منها: (التحيز أو التعصب والنزوات الشخصية والمصلحة الذاتية)⁽³¹⁾.

4- النقد البناء:

عكس النقد الهدام، فإذا كان النقد الهدام لا يلتزم بالموضوعية فالنقد البناء حتما ولا بد من الالتزام بالموضوعية. كما أن أهدافه محددة مسبقا ويلتزم صاحبه بقواعد وشروط النقد، من علم وخبرة، ومراعاة الضمير، والبعد عن الأحكام العامة والالتزام بالمعايير الأخلاقية، والبعد عن التحيز والتعصب والنزوات الشخصية والمصلحة الذاتية كما أن النقد البناء يأتي من استجابة النقاد للنزعة الاجتماعية التى تصور المجتمع مع مراعاة مصلحته⁽³²⁾. ويتمثل هذا النقد فى المشاريع الفكرية التى أبدعها الفلاسفة والمتكلمون من المعتزلة والأشاعرة، والشيعه، وكذلك من أدباء وفنانين وسياسيين.

ثالثاً: شروط وقواعد النقد

النقد كى يكون نقداً بناءً ومنتجا لا بد من أن يقوم أو يستند على قواعد وشروط منظمة له، ولولاها لأصبح النقد بغير معنى ولا يفيد ولا يستفاد منه، وبالرغم من أهمية هذه الشروط فإننا نجد من يشكك فى وجوب مثل هذه الشروط. ويرى البعض أن النقد لا يرجع أو لا يحتاج إلى قواعد وشروط لأنه قائم على التدوق. وممن ذهبوا هذا المذهب شوبنهاور الذى خالف الكثير من الفلاسفة والأدباء والنقاد ورأى أن النقد: (لا يرجع إلى قاعدة، ولا يعتمد على أصل من الأصول، وإنما مداره الذوق المهذب المصقول الذى يهتدى إلى كشف الجمال ويوفق فى إصابة الهدف، والذوق الناقد يعجز عن خلق الآيات الفنية، وإنما شأنه التلقى والاستيعاب والتفريق بين الحسن وما ليس بحسن والجيد والرديء) (33).

ويبدو أن شوبنهاور لا يميل للنقد والدليل على ذلك أنه يرى أن من الخطر الموازنة بين رجلين عبقريين من طبقة واحدة كشاعرين عظيمين أو موسيقيين كبيرين أو فيلسوفين ممتازين. وذلك لأن هذه الموازنة ظلم لأحدهما ولأننا فى عقد الموازنة ننظر إلى ميزة خاصة فى أحدهما ونرى فى الوقت نفسه أن هذه الميزة غير موجودة فى الآخر.

ولذا ننتقص قيمته ونرخص قدره، وإذا عكس الأمر ويدئ بالثانى، وكشفت ميزته الخاصة التى تختلف فى نوعها عن ميزة الأول فإن نتيجة ذلك هو انتقاص قيمتى الاثنين بدون مسوغ. كما يرى شوبنهاور أن القوة فى النقد لا تفيد إذا تجاوز الحدود، كجرعة الدواء لا تحدث التأثير المطلوب إذا زادت أو قلت وعلى الرغم من اعتراض شوبنهاور على وجود قواعد وشروط النقد فإن الأغلبية من المفكرين والنقاد رأوا ضرورة وجود هذه الشروط والقواعد حتى يسير النقد فى خطه السليم وحتى يصبح منهجاً للمعرفة (34). ومن هذه الشروط والقواعد ما سنعرض له فيما يلى:

1- الموضوعية. على الرغم من إنكار البعض بوجود النقد الموضوعى ومن ثم استحالة إخضاع النقد لطرائق العلم، مثل ما ذهب إليه، أناتول فرانس، الذى أنكرو وجود النقد الموضوعى مظهراً للشك فى موازين النقد على الإطلاق (35). فإننا نجد

فى المقابل من يضع الموضوعية كأساس للنقد فقد أفصح عن ذلك الناقد الفرنسى «برينيتير» .

الذى أعتقد: (أن النقد لا قيمة له إلا إذا كان نقدا موضوعيا) (36).

ولهذا نستطيع أن نقول أن الموضوعية هى أولى خطوات المنهج النقدى السليم، وأن: (أهم ما يميز العالم والمفكر قدرته على أن يختبر الآراء السائدة سواء على المستوى الشعبى العادى أو فى الأوساط العلمية بذهن ناقد لا ينقاد وراء سلطة القوم أو الانتشار أو الشهرة ولا يقبل إلا ما يبدو له مقنعا على أسس عقلية سليمة ولا يعنى ذلك أن يقف المرء موقف العناد المتعمد من كل ما هو شائع بل يعنى اختبار الآراء الشائعة وإخضاعها للفحص العلى الدقيق، وربما عاد إلى قبولها آخر الأمر بعد أن يكون قد اطمأن إلى أنها اجتازت هذا الاختبار، أما لو تبين له ضعف أو تناقض أو تفكيك هذه الآراء فإنه يتمسك بموقفه الجديد بكل ما يملك من تصميم وإصرار، مهما كانت التوضيحات التى يعانيتها فى سبيل هذا الموقف) (37).

ويجمع الكل على أهمية الموضوعية فى النقد، والتخلص من عادة المجاملة ويجب على الناقد قبل أن يكتب كلمة واحدة أن يضع فى اعتباره أن ما يشفع له عمله (38)، ويرى البعض أن من شروط النقد البعد عن التحيز أو التعصب والذوات الشخصية والمصلحة الذاتية (39).

2- الضمير:

إن شرط الموضوعية يرتبط بالضمير هنا، فضمير الناقد إذا لم يكن مستيقظا بحيث لا تستميله العواطف أو المصالح الخاصة أو المغريات، فيغير من ضميره ويبعد عن الموضوعية، كما هو الحال فى النقد السياسى ويصبح الناقد متحيزا بعد أن كان من المفروض أن يكون محايدا، فالضمير إذا غاب عن الناقد لعبت به العواطف والمصالح فيحكم الناقد على الأعمال أحكاما غير حقيقية، ويخلع هالات الإعجاب والتقدير على الأعمال التى لا تستحق ذلك ويحط من مكانة الأعمال الجادة، ولهذا فالضمير إذا غاب عن الناقد استطاع أن يقلب الموازين فيصبح الصواب خطأ والخطأ صوابا والحق باطلا والباطل حقا (40). فالضمير الإنسانى هو الصوت الداخلى. كما يسميه الشاعر الألمانى «شر» ذلك الصوت الذى يملى على المرء ما ينبغى أن يعمل

لكى يحيا حياة فاضلة⁽⁴¹⁾. ولكن للأسف غاب الضمير من عالمنا المعاصر وبالتالي انقلبت القيم والموازن، مما أدى إلى انقلاب الحقائق بسبب عدم التزام النقاد بالموضوعية.

3- الخبرة:

الخبرة من أهم أسس النقد، ونعنى هنا بالخبرة المعرفة السابقة بجميع جوانب الموضوع المراد نقده ويتمثل أيضا في العمق الثقافي والعلمي والمعرفى لدى الناقد، فالناقد الذى لا تكون لديه خبرة ولا معرفة ولا ثقافة ولا علم بالموضوع، سيكون نقده سطحيا فضلا عن أنه سيكون نقدا على غير علم وهو نقد فاسد ولهذا يؤكد ابن سلام الجمحى⁽⁴²⁾. على توافر الدراية والممارسة عند الناقد ويمثل لذلك بأن للشعر صناعة وثقافة يعرفها العلم كسائر أصناف العلم والصناعات مثل اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة أو وزن دون المعاينة ممن يبصره، ومن ذلك الجهبزه بالدينار والدرهم لا تعرف جودتها بلون ولا مس ولا طراز ولا حس ولا صفة ويعرفه الناقد عند المعاينة فيصرف بهجرها وزائفها ومستوقها ومفرغها⁽⁴³⁾.

ومن هنا فيجب على ناقد الفكر الدينى أن يلم بالقرآن لفظا ومعنى لكى يستدل بالآيات التى تؤيد رأيه، كما عليه الإحاطة بالسنة النبوية وليس معنى ذلك أن يشترط حفظ القرآن والأحاديث بل يكفى أن يكون عالما بمواضعها، ومماضع الأحاديث بالإضافة إلى الإحاطة بالناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، ومعرفة مواقع الإجماع، والعلم بقواعد الاستدلال وبشروطه وبالشريعة الإسلامية⁽⁴⁴⁾.

كما أن على ناقد الفلسفة أن يلم بتاريخها ومصطلحاتها ومدارسها.

4- تحديد الهدف:

إن النقد بدون هدف كرجل سائر فى الصحراء بدون تحديد الهدف الذى يريده فيظل يسير ويتخبط فى الصحراء وقد يهلك وهو سائر بدون هدف وقد يدخل مكانا محرم دخوله أو أنه قد يدخل منطقة لا يستطيع الخروج منها كذلك الناقد بدون هدف.

فكما أن تحديد الهدف ضرورى للسائر فى الصحراء، كذلك فهو ضرورى للناقد لأن الناقد الذى يحدد الهدف من نقده سيكون نقده بالضرورة مجانباً للصواب. فالذى يقدم على نقد الآخر لمجرد النقد فهو يهدم ولا يبني. فضلا عن أنه يعد هذا تجريبا

فى أغلب الأحوال. لهذا يجب على الناقد قبل القيام بالنقد أن يحدد الموضوع والهدف والأدلة ومن ثم النتيجة التى ستنتج عن نقده هذا.

5- الالتزام بالمعايير الأخلاقية:

لا يختلف أحد على أن من قواعد وشروط النقد الالتزام بالمعايير الأخلاقية، فلا يجب على الناقد أن يقوم بنقده بسلوك ويطرق ملتوية لتحقيق أهدافه. كما أنه لا يجب أن يتعدى الحدود المسموحة له بالنقد فمثلا لا يطرق النقد إلى الأمور الشخصية للأخر أو إلى الموضوعات التى تؤذى الأخر.

ومن أوجه عدم الالتزام بالمعايير الأخلاقية كما أشار إلى ذلك شوبنهاور. المجاملة، فالمجاملة فى النقد ضارة غير أخلاقية أحيانا لأنها تستلزم أن تسمى العمل الرديئ حسنا، وهذا يبطل الغرض الذى ينشده العلم والفن والمجلة المثالية المجلة التى يكتبها قوم لا يسمو إلى أمانتهم وأخلاقهم الشك، ويضاف إلى ذلك صدق الحكم وثقوب الفكر⁽⁴⁵⁾.

6- عدم صدور الأحكام النقدية بالإكراه:

فعلى الناقد ألا يستعمل أسلوب الإكراه. وإلا يصدر الأحكام بأفضلية هذا على ذلك، فالأحكام تفهم ضمنا من التوضيح الذى يختلف فيما ييدر عن التفسير⁽⁴⁶⁾. لأن اتخاذ أسلوب الإكراه فى الأحكام. يضيع الحقيقة فضلا عن أنه يعد إكراه لاستخدام حرية التعبير. فالأحكام الصادرة بالإكراه أحكام فاسدة ومجانبة للصواب.

7- البعد بالنقد عن الأحكام العامة:

يجب على الناقد أن يبتعد فى نقده عن الأحكام العامة كما يحدث فى النقد الإعلامى والنقد الصحفى والنقد السياسى لأن هذا التعميم يودى إلى الفهم الخاطئ. فالناقد لابد أن يكون دقيقا فى نقده دقيقا فى تعبيره وألفاظه وفى أهدافه وفى تحديده لموضوع النقد⁽⁴⁷⁾. وأفضل مثل نصره هنا هو ابن رشد الذى كان دقيقا فى نقده وفى أحكامه خاصة فى مجال الفقه إذا أن الدارس لكتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصر يلاحظ حسا نقديا عند فيلسوفنا، إنه لا يكتفى بمجرد رواية وترديد آراء غيره، بل يحصل هذه الآراء وينقدها نقدا دقيقا. وكما كان دقيقا فى الفقه كان دقيقا فى القضاء وفى أحكامه.

رابعاً: أهمية النقد

يعتقد البعض أن النقد ما هو إلا هدم وتجريح والتفتيش عن السلبيات والعيوب كما أن كلمة نقد غير مرغوب بها في بعض الأوساط فهو إما تجريح أو تشهير أو مروق من الإسلام أو أنه مصطلح غربي غير وارد في الدين الإسلامي (48).

ولهذا فالإتباع أفضل من الإبداع والتقليد أفضل من التجديد ومما يؤسف له أن البعض ممن يعتقد هذا الاعتقاد من مفكرى الإسلام الذين ضاقوا بالنقد، واعتبروه مذمة وبدعة وكل بدعة ضلالة والضلالة وصاحبها فى النار. فالمحافظة على التراث عندهم أمل يدل على الأصالة والخروج عنها يعد خروجاً على الأعراف والتقاليد ومن ثم على العقائد الإيمانية. ولا ينسى هؤلاء الرافضون للنقد أنهم بموقفهم هذا يمثلون موقفاً نقدياً وهم لا يدرون. لأنهم نقدوا من يؤيد النقد كمن هاجم الفلسفة ورفضها فأصبح فيلسوفاً لأن النقد والفلسفة ما هو إلا رفض الآخر والإتيان بغير ما أتى به الآخر واستكمال ما أنقصه الآخر. فإذا أخذنا برأى هؤلاء لأصبح النقد لا فائدة ولا أهمية له ويجب الابتعاد عنه ولا مفر من هؤلاء ماداموا يرفضون النقد إلا أنهم يجلسون فى صومعتهم أو فى كهفهم لا يعترضون أى فكر آخر، ولا يجب عليهم حتى الإطلاع لأن مجرد الإطلاع يؤدي إلى النظر والنظر يؤدي إلى الفكر والفكر يحتوى فى أغلبيته على الرفض والقبول. فإما أن يقبل أو يرفض أو الاثنان معا فإذا قبل كل آراء الآخر لم يصف جديداً وأصبح موقفه غير ذى أهمية، وإذا رفض مطلقاً كل آراء الآخر فأصبح ناقداً وإذا قبل ما يقبل ورفض ما يرفض أصبح أيضاً ناقداً وهذا أفضل أنواع النقد أى القبول والرفض لرأى آخر.

ولكى يخرج الإنسان من كهف الإتيان والتقليد والجمود عليه بالحركة الديناميكية. أى السكون والحركة المستمرة والنقد هو الذى يمثل هذه الحركة. وهذه الحركة تعد مظهراً من مظاهر الحياة الفكرية الجادة التى لا تكل ولا تمل. كما أن النقد يعد بوجه عام ظاهرة صحية لا مرضية للفكر الجاد، الفكر البناء، الفكر الذى يريد صاحبه أن يتخطى حدود الزمان والمكان، فهو يمثل الحركة لا السكون كما يعبر عن الثقة والاعتداد بالنفس (49).

كما أن أهمية النقد تزداد إذا وضع في قالب منهجي ووضعت له قواعد وشروط، فإذا توافرت كل الشروط والقواعد الخاصة بالمنهج النقدي عند المفكر والأديب والعالم لأصبح للنقد مكانة أعلى من المفكر الذي ليس لديه منهج نقدي أو ليس لديه حس نقدي.

فمن أهمية النقد المنهجي أنه يجعل من الإنسان فيلسوفا متربعا على عرش الفلسفة لما يتميز به من حس نقدي.

لأن النقد والفلسفة منهجا واحد وهدفهما واحد. فالنقد هو الذي يخلق من الإنسان فيلسوفا مثل ما هو الحال عند الفيلسوف اليوناني سقراط الذي تميز بالحس النقدي القائم على التهكم والتوليد والذي جعله من أعظم الفلاسفة الذين أفادوا البشرية فضلا عن دور هذا المنهج النقدي في إخراج الشباب الأثيني من أزمتته التي كان سببها اعتناقهم الأعمى لآراء السوفسطائيين. فقد عزز فيهم هذا المنهج النقدي روح التجديد لا التقليد وروح الإبداع لا الإتياع. وجاء من بعده تلميذه أفلاطون الذي نقده في كثير من المواقف على الرغم من حبه لأستاذه كما احتل هذه المكانة: (أرسطو بنقده كل الآراء والاتجاهات التي سبقته ابتداء من آراء فلاسفة المدرسة الأيونية حتى آراء أستاذه أفلاطون واحتلها أيضا كانت "KANT" الفيلسوف الألماني ... واحتلها المعتزلة لروحهم النقدية)⁽⁵⁰⁾.

كما احتلها فلاسفة الإسلام من أمثال الكندي والفارابي وابن رشد وابن سينا والمتكلمين في أغلب فرقهم. فكان أهم ما يميز هؤلاء وغيرهم ممن أصبحوا فلاسفة هو نزعتهم النقدية، فالنقد لا يقتصر على الأدباء والشعراء فقط بل شمل الفلاسفة إضافة إلى أنه يعد أساسا من أساسيات حياة الإنسان. يلتزم فيها الفيلسوف والعالم، والفنان ورجل الدين وكل من له فكر فالعقل الذي يفقد إلى الحس النقدي أو ملكة النقد المنهجي يقع ضحية الاعتقاد الساذج والتسليم الموروث الذي لا يستند إلى تبرير يصل به إلى اليقين. كما أن الشك والبناء والارتياح الفلسفي يشكل أهم آليات العقل النقدية الذي يدفعها إلى التساؤل الدائم الذي يصل به صاحبه إلى الحقيقة المنشودة.

ولهذا حق لبعض المفكرين أن يقول عن النقد أنه: (ملكة من ملكات الإنسانية اللازمة المطلوبة في كل عصر، وكلما تأثرت الكتب وتعددت المشكلات ازداد اعتمادنا

على إرشاد الناقد البصير وطلبنا إليه أن يجلو لنا الغامض ويمهد السبيل للقراءة المنتجة المجدية وأن يرينا كيف نتفهم الكتب ونخلص إلى سرها ولبابها لنستطيع بعد ذلك أن نتحدث عنها في الأذنيه والمجتمعات ونظهر بمظهر ذوى العلم الراجح والمعرفة الراسخة(51).

ونود الإشارة هنا إلى أن النقد لا يخلق العبقريات ولكنه يشدذ المواهب والملكات ويعينها على النضج والازدهار، وهو الوسيط بين جمهور القراء والمؤلفين، والمفكر الحق إذا أراد أن يقدم لنا فكرا فلسفيا فإنه لا بد من أن يقوم على أساس من النقد الحر، النقد الخالي من المتابعة والتقليد والاتباع للآخرين . فهو عندئذ يكون مجددا ومبدعا ومن هنا تكمن أهمية النقد فى كونه مجددا ومبدعا معبرا عن ثورة فكرية حقيقية بدلا من الجمود الفكرى الذى ساد معظم المجتمعات(52).

فلا يختلف أحد على أن ممارسة النقد الحقيقى تنطوى على رغبة أكيدة فى تجاوز الواقع وعلى إيمان راسخ فى أن التطور هو قانون الوجود، فالنقد يعنى عدم الثبات أو الركون للوضع القائم، كما يعنى ذلك أن الحياة تنطوى دائما على النقيض وأن الاكتمال فريضة مستحيلة فى دنيا الواقع، والنقد يعد دعوة لا تميل إلى ضرورة التنفيذ(53). ولعل المأزق العربى الراهن أحوج إلى هذا الموقف النقدى حتى يمكنه بناء شخصية عربية مستقلة عن اتباع التيارات الغربية، التى ستؤدى بنا بالضرورة إلى الاعتماد على الغرب بدءاً من رغيغ الخبز حتى تسيير الأمور الدولة.

كما ترجع أهمية النقد فى لزومه للعقلية الإنسانية فمئذ وجد الإنسان وهو يمارس وظيفة النقد فضلا عن أنه يعد من أهم خصائص الفكر الفلسفى والأدبى الممتاز، ولهذا فهو يعد الأساس لحركات الإصلاح والتنوير والتحرر وغيرها من الحركات الفكرية(54). ونستشهد على ذلك بالثورات والحركات الإصلاحية التى قامت على أى مكان فى العالم حيث قامت على أساس رفض الواقع ونقد الأساليب التى تسير عليها البلاد وأكبر مثل على ذلك حركات الإصلاح والثورات التى قامت فى مصر مثل حركة الإصلاح التى قام بها الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغانى وثورة ١٩١٩، وثورة عرابى وثورة ٢٣ يوليو وغيرها من حركات الإصلاح التى قام بها مفكرو مصر ولولا نزعة النقد لدى أصحابها لما كانت هناك ثورات ولا حركات ومن ثم لا إصلاح ولا تقدم كما كان قائما.

وتكمن أهمية النقد فيما يقوم به من تحليل قدرات الإنسان في المعرفة، وإزالة المهملات الملقاة في طريق المعرفة نظرا لأن مهمته الأصلية التحليل والوصف والمقارنة، وصدور الأحكام بعد استنفاد كل هذه الوظائف (55).

ومن هنا يعد المنهج النقدي الطريق الوحيد الموصل إلى وجود أيديولوجية للفكر العربي الحديث والمعاصر بشرط الاستفادة من المتقدمين من أمثال المعري وابن الرومي والمتنبي والجاحظ، وأبو حيان التوحيدى، وابن سينا وابن رشد (56). ومن أمثال المتكلمين وبالأخص المعتزلة الذين كان لهم الفضل الأكبر في إشعال ثورة التجديد والإبداع بسبب توافر النزعة النقدية لديهم فهذا واصل بنب عطاء الذى لم يرتض رأى أستاذه أبو الحسن البصرى فينقده ولا يكتفى بذلك بل ينفصل عنه ويؤسس مذهبا جديدا، وهذا ما حدث مع باقى فرق المعتزلة والأشاعرة التى برزت.

إذن فالنقد ليس مشروعا للهدم بالكلام الجارح كما يعتقد البعض - بل أنه عملية إعادة بناء دؤوية ومحافظة على التراث، وهو الأمر الذى يقتضى التميز بالدرجة الأولى (57). ولهذا نخلص من هذا التحليل أن التفكير النقدي ضرورة حياة سواء أصابت أو أخفقت، لأنه لا ينشأ فكر من فراغ ولا يكتب له البقاء والاستمرار إلا إذا عارضه فكر آخر، فالفكر ينشأ مبشرا بشئ ما ومهاجما لشئ ما. تلك طبيعته ومن نقد الفكر، ومن نقد النقد، ومن تبادل الأفكار والهجوم والدفاع تتجدد الحياة الفكرية، وتنشأ التكوينات العقلية المتطورة المعقدة البنية، وتنزوى التكوينات الساذجة فى عالم النسيان، وتصبح تاريخا نقرأه (58).

والخلاص الوحيد إلى المستقبل لا يتحقق إلا بالتمسك بالمنهج النقدي العقلي بنوعيه. الذاتى ونقد الآخر وفى جميع المجالات الفكرية والفنية والعلمية والسياسية والاقتصادية والدينية، وكل مجالات الحياة، كما أنه يجب أن يتعدى النقد وجود الزمان والمكان، ولا يكون الإنسان مقلدا لعالم النمل وانحل. كما قال الفيلسوف اليونانى أفلاطون. والتى ولا يكون الإنسان مجرد متابع للآخرين فى أفكارهم وسلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم (59).

هذا ولا تقتصر أهمية النقد على ما ذكرنا فهناك الكثير من الوظائف التى تبرز أهمية النقد فى جميع مجالات الحياة فلنعرض لبعض هذه الوظائف:

خامسا: وظائف النقد

دأب البعض على قصر وظائف النقد على بيان ما ينتج عنه من الحقائق والكشف عن العيوب والأخطاء التي فى الآخر. فهذه وظائف أو أهمية النقد المباشرة والتي تظهر بوضوح للجميع لكن ليس هذه وظائف النقد فقط فهناك وظائف غير مباشرة قد لا يلاحظها إلا المدقق فى حقيقة وأهمية النقد. وتكمن صعوبة إدراك هذه الوظائف فى كونها جزء من عملية النقد والفكر نفسه أو هى المكون الأساسى، وتحدث دون أن يحسها الناقد أو المفكر والعالم. وهذه الوظائف تتلخص فى الوصف والتحليل، والمعرفة، والفهم والحكم. كما أن هذه الوظائف لا تتحقق إلا إذا توافرت شروط وقواعد المنهج النقدى السليم. كما أنه يصعب تمييزها أو فصلها عن بعضها نظرا لتداخلها وارتباطها بعضها ببعض، فالوصف والتحليل يحتاجان إلى معرفة مسبقة كما أن الوصف والتحليل يؤديان إلى معرفة بالضرورة ومن ثم تؤدي كل من المعرفة والتحليل والفهم إلى الأحكام، وكلها تنتج من الفهم الجيد. فلا يوجد فهم بدون معرفة ولا معرفة بدون فهم وتحليل ووصف، وكلها مفاهيم ثابتة تختلف أهمية كل منها مع اختلاف الزمن بينما لا تبطل دور أى منها الآلية الضخمة لذهن الإنسان، ونظرا لأهمية هذه الوظائف سنعرض لها بشئى نم الإيجاز.

1- الوصف والتحليل

لاشك أن وصف الموضوع أو تحليل الفكرة المراد نقدها أو بحثها يحتاج إلى معرفة مسبقة ثم يحتاج إلى إصدار الحكم، وهذا الوصف يجعلنا نلم بالموضوع من كل جوانبه، فإذا أراد الناقد الحكم فعليه أن يقوم أولا بتحليل الموضوع أو الفكرة ووصفها وصفا دقيقا حتى يخلو حكمه من أى تقصير أو جهل وهذا يؤدي بدوره إلى زيادة المعرفة وفهم الموضوع.

ولهذا يقول لويس رينو: (ربما لو أقررنا بأن المهمة الأولى للنقد الأدبى هى مهمة الوصف)⁽⁶¹⁾.

فالوصف النقدى فضلا عن أنه يزيد من حقيقة الأمور ويزيل الخلط بينها إلا أنه يعد معرفة جديدة تضاف إلى رصيد الناقد، ويشترط فى الوصف أن يلتزم الناقد فى

وصفه بالموضوعية والتحليل الدقيق القائم على الأسس العلمية التي تنظم العلم المراد نقده سواء كان هذا شعرا أو أدبا أو فنا أو فكرا سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو فلسفيا أو دينيا.

ولو تتبعنا الوصف والتحليل النقدي عند الفلاسفة منذ سقراط حتى الآن نجد أن سقراط كان يقوم بوصف الموضوع وتحليله عن طريق منهج التهكم والتوليد ويجعل الآخر هو الذي يقوم بهذا الوصف والتحليل الذاتي من خلال أسئلته التي كان يلقيها على تلاميذه، القصد منها بيان وتحليل فكر الآخر حتى يستطيع أن يقف الآخر على مواضع الضعف والقوة، وهنا يكون النقد ذاتيا في صورة الآخر كما قدم أرسطو أروع النماذج في الوصف فأرسطو يرى أن العمل الأدبي: (مطابق للطبيعة في حدود. إذ يمكن أن نجول حوله كما نفعل حول جسم حيوان جميل، ثم ينهمك في البحث عن نظام ما في المأساة مثلا العقدة والأحداث الطارئة، والخاتمة، أو تعاقب الأدوار الغنائية والأدوار التمثيلية، ويتفحص كيفية ترجمة الأفكار بالكلمات. أي بيان الأفكار الصناعية..... من هذا الوصف الطويل للمادة الكلامية حيث يبرز أساسى بين العناصر الحيادية، الحرف والمقطع اللفظى، والأداة، وروابط النسق، والاسم والفصل والحال، والعبارة، والعناصر الاستثنائية، والأسماء المركبة وخاصة الاستعارية.....)⁽⁶²⁾.

والواقع أن أرسطو إذا أراد وصف ما هو موجود أوصى أحيانا بما يجب أن يكون، حتى أنه يمكننا إبراز بعض المقاطع التي يأخذ فيها الشرح الطابع المعيارى.

أما مفكرو الإسلام من فلاسفة ومتكلمين. فنجد أن الوصف والتحليل كان هدفهم فقبل إصدار الأحكام على الفكر اليونانى سبقه وصف وتحليل مسهب من جانب فلاسفة الإسلام، من أمثال الكندى والفارابى وابن سينا، وابن رشد، ثم قاموا بشرح التراث اليونانى شرحا يدل على درايتهم ومعرفتهم بأساسيات هذا الفكر وأكبر مثل على ذلك ما قام به ابن رشد من شروح لأرسطو وهى ثلاثة شروح وهى أكبر وأوسط وأصغر واتسمت هذه الشروح بخاصة الوصف النقدي وتحليل الأفكار التي قبلها أو رفضها ابن رشد.

كما اتبع هذا الوصف والتحليل. جميع الفرق الكلامية من معتزلة وأشاعرة

وشيعة الذين أسهبوا في وصفهم للمواقف الفكرية والعقائدية والسياسية والأدبية، وقد برع كثير من المتكلمين في الوصف والتحليل من أمثال هؤلاء الجاحظ ويشهد على ذلك كتبه الحيوان والبيان والتبيين والبخلاء وأبو حيان التوحيدي في مؤلفاته: الإمتاع والمؤانسة والبصائر والذخائر، والمقابس والهوامل والشوامل، والصدقة والصديق، وقد بالغ بعض المتكلمين والفلاسفة في الوصف والتحليل حتى أننا نجد منهم من قام بشرح وتحليل ووصف بعض الموضوعات في أكثر من مؤلف. وفي كل مرة كان يضيف ما هو جديد من أفكار وآراء.

ولهذا فقد ضرب مفكرو الإسلام أروع الأمثلة للشرح والتحليل والوصف النقدي.

2- المعرفة

يشكل النقد أحد فروع المعرفة، فالدراسة الفردية الدؤوبة، تمتد من الدراسات السابقة، وهي نفسها امتداد للنقد إذن له تاريخه بل يمكن أن يكون تاريخا والناقد الممتاز هو فنان تبحر في المعرفة، وذواق كبير لأفكار مسبقة عنده. قد يكون حصلها من خلال وصفه وتحليله للموضوع أو نتيجة لمحاولته النقدية.

هذا فضلا عن أن من أهداف النقد المعرفة الفكرية أو التواصل في النهاية إلى مثل هذه المعرفة ويؤكد ذلك فراى في قوله: (إن النقد بنيان من الفكر والمعرفة له وجوده الخاص) (64) ولا يمكن لأى مفكر أو فيلسوف أو أديب أو ناقد ناجح أن يتعرض لأى فكر أو موضوع بالنقد أو المناقشة إلا إذا كانت لديه معرفة مسبقة وكافية لمناقشة الموضوع، وإلا كان نقده قائما على جهل بدون علم، وهنا يكون قد فقد شرطا من أهم شروط النقد وهو المعرفة المسبقة. ونلمس الاهتمام بالإمام المعرفي بموضوعات النقد عند المفكرين والفلاسفة والأدباء والشعراء القدماء والمحدثين فسقراط الذى أقام بناءه الفلسفى على أساس معرفته السابقة بأراء الفلاسفة السابقين عليه من سوفسطائيين وفيثاغوريين طبيعيين والتي كونها من خلال موقفه النقدي من هذه الفلسفات، ثم جاء تلميذه أفلاطون فحصل علوم السابقين ثم نقدهم وانتهج نفس الطريق أرسطو وكل الفلاسفة اليونان أو من المسلمين من فلاسفة ومتكلمين ممن أعطوا للمعرفة أهمية كبرى كأساس لنقد الآخر.

فلم يسمح لنفسه أى فيلسوف أو متكلم أو أديب أو ناقد بالنقد إلا إذا كون معرفة كاملة بالآخر سواء كان هذا الآخر شخصا أو موضوعا. وبدل على ذلك أن إنتاج كل

فلاسفة الإسلام من أمثال الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن تيمية ما هي إلا آراء السابقين وتوجيه إليها عليها أو مناقشتها نقطة نقطة فيقول ابن سينا مثال قال أرسطو..... وأن قوله هذا كذا ومخالف لكذا..... وموافق لكذا..... وهكذا نفس الأمر عند كل الفلاسفة والمتكلمين. ونود الإشارة هنا إلى أن من أسباب نشأة علم الكلام توافر النزعة النقدية لدى مفكرى الإسلام ومن هذه النزعة ولدت لديهم جب الاطلاع على التراث ممن كون لديهم معرفة تؤهلهم لكي يقولوا رأيهم في كل ما ورد فيه من صواب وخطأ. فبتقدير توافر النزعة النقدية لديهم بقدر كمية المعرفة الموجودة لديهم وبقدر هذه المعرفة بقدر ما كان تقدمهم قويا أو ضعيفا ثم بقدر توافر النقد والمعرفة وقوتهم بقدر مكانه صاحبها من التفكير الفلسفى .

3- الفهم

إن الناقد أى ناقد إذا أراد نقد الآخر، عليه أولا محاولة فهم هذا الآخر سواء كان نصاً أو موضوعاً أو شخصا، وهذا الفهم يحتاج إلى توظيف العقل توظيفا سليما حتى يمكنه الفهم الجيد، وبقدر درجة الفهم تكون درجة الأحكام من حيث الإصابة والخطأ، وكثيرا ما نجد من النقاد من يخفق فى أحكامه، ويرجع هذا فى أغلب الأحيان إلى عدم فهمه للنص أو الموضوع فهما حقيقيا، وكثيرا ما نجد من أحكام تصدر من نقاد مجانبية للصواب، ومن ثم تشوب معارك النقد بسبب عدم فهم الآخر.

وأحيانا لا يفهم الناقد نفسه، وهذا مكنم الخطورة، فإذا لم يفهم الناقد نفسه لم يفهم الآخر ولهذا نؤكد على ضرورة النقد الذاتى الذى يعطى الفرصة لفهم الناقد نفسه أولا قبل نقد الآخر. والفهم كما يراه هيغل: (مرحلة من مراحل الوعى تنشذ الدقة فى جميع الأشياء وذلك عامل ضرورى فى أى منهج من مناهج الفلسفة إذ من غير دقة الفكر وبدون التصرف على الفروق الواضحة سوف نتوه فى غياهب الأفكار الغامضة.....) (65). وينظر هيغل إلى مرحلة الفهم على أنها تلك المرحلة من مراحل تطور الوعى التى ينظر فيها إلى الأضداد على أنها يعاند بعضها بعضا، وأنها لا يمكن أن تتجمع على الإطلاق، والفهم هو مبدأ الفلسفة القطعية التى تصبح فاصلا متينا بين فكرة وفكرة أخرى تعارضها. ونستطيع أن نرى ذلك فى وضوح فى هذا المبدأ الصلب، إما..... أو.... كما يرى هيغل أن الفكر من حيث هو فهم يركز على التحديدات الثابتة، ويهتم اهتماما بالغا بالفروق والاختلافات الموجودة بين هذه التحديدات، (66). فالفكر ما هو إلا هذه العملية التى يقوم بها الفهم، غير أنه لا يتوقف

عندها وإنما يتخطاها ويتجاوزها، وتكمن أهمية الفهم بالإضافة إلى كونه وظيفة أساسية من وظائف الحس النقدي فهو يقوم بدور توضيح الأفكار وتحديدها سواء في مجال النظر أو العمل.

4- الحكم

من أهم وظائف النقد الجيد الأحكام الجيدة، فالناقد البصير والمطلع على كل الأفكار موضوع النقد لا بد أن يكون حكمه صائبا، ولا يحتاج إلى نقد آخر فالناقد مثل القاضي. فكما أن القاضي قبل إصدار حكمه عليه بحث القضية من كل جوانبها، وعليه أيضا فهمها وتحليلها ووصفها، وتكوين ما يمكنه من معلومات في إصدار حكمه دون تجاوز أو مجانبية الصواب وقضايا النقد سواء في مجال الشعر أو الأدب أو الفن أو اللغة والبلاغة والمياسة والعقيدة والفلسفة، مثل القضايا التي تتداول في المحاكم في حاجة قبل صدور الأحكام إلى دراستها دراسة متأنية فالحكم فن وفن الحكم حقل خصيب جدا ومعقد جدا وشائك. كما وكيفاً فهو: (مفتوح أمام الجميع، هواه ومتخصصين، جماليين وأيديولوجيين هجائيين وشهودا متواضعين. ليس له تاريخه الخاص إذ أنه في التفاعل اليومي وفي الحديث حول المؤلفات الجديدة ولكونه الأرض المفضلة لجميع الدرجماتيات، بل والكثير من الحساسيات الأصلية أيضا فهو يقدم على الأقل، شهادة أو درسا عن الأفكار البائدة والأذواق البالية)(68).

ولا ننسى أن درجة الأحكام النقدية تقاس بدرجة معرفة الناقد بالقضايا المعروضة للنقد، ونلمس هذا في قضايا الفكر والعقيدة والفلسفة التي بحثها مفكرو الإسلام من فلاسفة ومتكلمين. فنجد الغزالي الذي أقام أحكامه النقدية ضد الفلاسفة بناء على ما كونه من معرفة بقضايا الفلسفة والعقيدة، ولهذا نجد أنه أصاب في بعض أحكامه وأخفق في بعضها الآخر ويرجع هذا الإخفاق وهذه الإضافة إلى درجة تكوينه المعرفي وفهمه وتحليله للقضايا المعروضة مثل قضايا علم الله بالجزئيات وقدم العالم ونفس الأمر عند ابن رشد وابن تيمية ممن يقاس الحكم عندهم على كثير من القضايا التي تعرضوا لها بالنقد بدرجة الإمام بآراء الآخر وفكره بالإضافة إلى درجة معرفتهم بدواخل العقيدة.

وخلاصة الأمر نستطيع القول أن درجة الأحكام النقدية تقاس بدرجة أحكام الناقد بتحليل فهم القضايا النقدية.

سادسا: النقد والفلسفة

اختلفت الآراء حول علاقة النقد بالفلسفة، فهناك من يرى أن النقد غير الفلسفة، وهناك من يرى أن النقد هو الفلسفة، وهناك من يرى: أنه بالرغم من وجود علاقة بينهما فإن لكل منهما مجاله. فالنقد قاصر بالفن بوجه عام والأدب بوجه خاص والفلسفة خاصة بالبحث فيما وراء الطبيعة.

مما لا شك فيه أن هذا الاختلاف أدى إلى وجود فجوة بين الفلسفة والنقد، مما كان له أثره السلبي على الفلسفة والنقد وعلى الفلاسفة والنقاد. وأصبح كل منهما يسير في طريقه دون مراعاة الآخر، وهذا بالتأكيد له أثره على الحياة الفكرية والإبداعية في أي مجتمع ينفصل فيه النقد عن الفلسفة أو عن أي إنتاج فكري.

وفى المقابل لمن يرى الانفصال بين الفلسفة والنقد نجد من يؤكد على أن النقد هو الفلسفة، ويمثل هذا الرأي الكثير من الفلاسفة والنقاد والأدباء منهم على سبيل المثال الفيلسوف الأمريكي المعاصر رويس، الذي ذهب إلى أن: (المرء يتفلسف حينما يفكر تفكيراً نقدياً في كل ما هو بصدد عمله بالفعل في هذا العالم حقا إن ما يعمله الإنسان أولا وقبل كل شيء إنما هو أن يحيا، والحياة تنطوي على أهواء، وعقائد، وشكوك، وشجاعة ولكن البحث النقدي في كتل هذه الأمور إنما هو الفلسفة بعينها. وهذا يدل على أن الفلسفة بمعناها العام إنما هي حياة ونقد للحياة)⁽⁶⁹⁾.

كما يؤكد الشاعر الإنجليزي. ت. أس. البيوت 1888-1965م. في قوله إن (النقد ككل هو نشاط فلسفي، لا بد منه ولا يتطلب أي تبرير، إن طرح السؤال ما هو الشعر؟ يعنى تحديد موقع الوظيفة النقدية)⁽⁷⁰⁾. والفيلسوف هو: (السائل المستمر والناقد الدائم والسؤال التأملي موقف نقدي يشق أفق المغلق... وبيت الفيلسوف بيت بلا جدران، ودون سقف. لأنه يسكن حالات التأمل والتشرد باحثا عن مدينة المعنى بوصفها مدينة الإنسان، لذلك كان الفيلسوف هذا الشريد المتأمل الشارد من قيود الإنسان والمنظومات)⁽⁷¹⁾. كما أنه ضمير المجتمعات وعقلها. وعلى الرغم من اتفاق أصحاب الفلسفة النقدية وأصحاب المذهب التجريبي على أن التجربة تقدم الأساس

الوحيد لمعارفنا، فإنهما لا يوافقا على دفع هذه المعارف إلى مرتبة الحقائق، وإنما ذهبوا إلى أنها معرفة بالظواهر فحسب.... فالنظرية النقدية تبدأ أساسا من التفرقة بين العناصر الحاضرة في تحليل التجربة⁽⁷²⁾. معتمدة في ذلك على العقل النقدي. وحيث إن العقل النقدي الفلسفي عقل قلق لا يهدأ ولا يجمد عند وضع نهائي، فهو العقل المتحرك أو المتطور باستمرار عكس العقل الدوغمائي تماما، لأن العقل الدوغمائي يعتقد أنه قد توصل إلى الحقيقة المطلقة منذ البداية، وانتهى الأمر هكذا في حين أن العقل النقدي الفلسفي يعتقد أنه مضطر دائما إلى إجراء التعديلات والتحليلات على ذاته. كما أنه مضطر إلى مراجعة ذاته، أو بوضع ذاته محك البرهنة باستمرار وهذه هي خصائص الموقف الفلسفي، وهذا أيضا هو مذهب الحدائث التي انتقلت به أوروبا من مرحلة العقل المسيحي الدوغمائي المطلق إلى مرحلة العقل العلمي المتحرك باستمرار⁽⁷³⁾.

ولتأكيد العلاقة الوثيقة بين الفلسفة والنقد، فقد ربط أبو حيان التوحيدى بين عملية التفلسف وفعل الحوار والنقد وكأنما يريد أن يقيم بين المفكرين ضرب المواجهة الفكرية وليس كتب: الهوامل والشوامل، والمقابسات، وذم الوزيرين سوى صورة من تلك المواجهة النقدية التي تمت بين أبي حيان التوحيدى وبين كل من مسكويه في الهوامل والشوامل وبينه وبين أبي سعيد المنطقي وغيرها من فلاسفة العصر كما هو في كتاب المقابسات وبينه وبين وزراء عصره كما هو في كتاب ذم الوزيرين⁽⁷⁴⁾.

وإذا كان هناك من ربط بين النقد والفلسفة. فهناك من فرق بين النقد والنص الديني «القرآن، بمعنى أنه إذا كان التفكير الفلسفي يقبل النقد والمناقشة فإن الدين لا يقبل النقد ويعلل د. ذكي نجيب محمود ذلك بأن الفيلسوف إذ يبني بناءه الميتافيزيقي فإنما يقيمه على مبدأ من عنده وأى فيلسوف آخر من حقه أن يقيم بناء آخر على مبدأ من عنده، وبذلك تتعدد البناءات الفلسفية بتعدد أصحابها. أما في حالة الدين فالأمر مختلف أشد ما يكون الاختلاف لأن البناء الديني قائم على وحى منزل، وليس من حق أحد آخر أن يبني دينا على شئ آخر من عنده. لهم كان هذا فكرا دينيا⁽⁷⁵⁾.

كما أرجع البعض قبول الفلسفة للنقد دون الدين إلى أن الفلسفة تتميز بسمات تسمح لها بقبول النقد من هذه السمات:

1- أن الفلسفة لا مقياس لها للتفرقة بين الحق والضلال، بين الصواب والخطأ، فإذا اختلف فيلسوفان في أمر من أمور الفلسفة فإنهما لا يجد أي مقياس يرجعان إليه للحسم بينهما في موضوع الخلاف.

2- أن الفلسفة ظنية، وكثرة الاختلافات فيها دائمة ومستمرة.

3- أن الفلسفة لا رأى لها ولا وطن (76).

4- أن موضوع الفلسفة . إلهيات وأخلاق تستند إلى العقل والعقل يخطئ ويصيب . أما موضوع الدين إلهيات وأخلاق تستند إلى الوعى والوحي معصوم (77).

ومما يوثق العلاقة بين النقد والفلسفة أن التفكير الفلسفى تفكير عقلى لكنه يحتاج إلى تكوين الأحكام على هذه القضايا العقلية أو النقد هنا هو الذى يقوم فى تكوين الأحكام على القضايا العقلية proposition هذه صادقة وتلك فاسدة وهذه علة تلك، أو ليست علتها، من القضايا والأحكام هى أكثر احتمالا كما يتناول التفكير النقدى فيما أخرى أكثر من الحق أو الصدق كالخير الأخلاقى أو الجمال الأدبى والغنى فالتفكير النقدى ضرورة لاشتغال أو لنمو التفكير الفلسفى . فهو بمثابة الحافز النقدى يدفع بالعقل إلى التفكير والتجديد والإبداع . هذا بالإضافة إلى أن أعظم ما يؤدى إلى تقدير الفيلسوف حق قدره هو تحليل أفكاره ونقدها، لأن فى هذا عل الأقل دليلا على أنها أفكار حية ولم تولد ميتة والالما اهتمامنا بها من جانبنا، أما إذا لم تفعل ذلك فسوف لا نكون دارسين فى مجال الفلسفة بل خطباء فى حفلات التكريم . فالمفكر إذا أراد أن يقدم لنا فكرا فلسفيا، فإن هذا الفكر الفلسفى لابد أن يقوم على أساس النقد لا مجرد متابعة آراء الآخرين (78).

وقد تميزت العقلية العربية قبل الإسلام وبعده بهذا الحس النقدى، ونلمسه فى شعراء وأدباء الجاهلية، وموقف العرب من الدين الإسلامى، ونقدهم الشديد لرسول الله وللقرآن فى بداية البعثة ثم الإيمان به بعد تيقنهم بحقيقة الدعوة . فقد أثارَت الدعوة إلى الإيمان بمحمد نبيا ورسولا وبالقرآن دينا . حاسة النقد لدى عرب شبه الجزيرة العربية، ووصل الأمر إلى صدام بين الرسول والمعارضين، لإيمانهم بعدم مصداقية الدعوة، وعندما تيقنوا بصدقها آمنوا بعد معارضة ونقد . ومن أوجه النقد الموجه لرسول الله ﷺ . .

ما صدر من ذى الخويصرة التميمي لرسول الله (ﷺ) بقوله: (اعدل يا محمد فإنك لم تعدل، حتى قال عليه الصلاة والسلام: إن لم أعدل فمن يعدل فعاود اللعين وقال: (هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى) (79). وظل الحال في توجيه النقد للدعوة الإسلامية حتى استقرت بعض الشئ من جانب الصحابة نظرا لأن الرسول (ﷺ)، لم يدع لهم مجالا للشك والارتياب ومن ثم للنقد وظل هذا الحال حتى بعد وفاة الرسول وحدثت بعض الشبهات التي بسببها حدث الخلاف بين الصحابة وغيرهم، ومن هذا الخلاف. الخلاف الذي حدث حول مكان دفن الرسول ثم الخلاف على من سيخلف رسول الله (ﷺ)، واستقر الأمر على خلافة أبي بكر الصديق بالرغم من النقد الذي وجه له.

كما أدى إتساع الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول شمالا وشرقا وغربا، ودخول الكثير من أصحاب الديانات والعادات والتقاليد واللغات المختلفة في الإسلام: فأدى هذا الخلاف إلى ازدهار حركة النقد (80). وأدى هذا الازدهار إلى رفع مستوى الحياة الفكرية والنقدية لدى المسلمين. مما أدى ذلك إلى انقسامهم إلى فرق وشيع: من خوارج، وشيعة، ومعتزلة، وأشاعرة، وروافض، وكل فرقة من هذه الفرق انقسمت إلى فرق أخرى حتى وصلوا إلى ثلاث وسبعين فرقة وهذه الفرق هي التي تكون منها علم الكلام الذي كان لوجود الحس النقدي لدى المسلمين الفضل الأول في نشأة هذا العلم لأنه لو لم تكن هذه الروح النقدية لما حدث خلاف في الرأي وبالتالي لم يكن هناك متكلمون ولا فلاسفة من أمثال الجاحظ واصل بن عطاء، والنظام والخياط، والأشعري، والرازي، والغزالي، وابن تيمية والفارابي والكندي، وابن سينا وغيرهم كثير، ولما ازدهرت الحياة الفكرية والفلسفية والعلمية في القرنين الثالث والرابع الهجريين. هذا العصر الذي يعد من أزهى عصور الحضارة الإسلامية لارتفاع مستوى الروح النقدية فيه.

كما أدت حركة الترجمة في القرن الثالث الهجري إلى فتح مجال آخر للحياة النقدية هو مجال نقد التراث اليوناني وظهور نوعية جديدة من النقاد الفلاسفة من أمثال الكندي فيلسوف العرب الأول الذي قال عنه ابن النديم: (فاضل دهره، وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها.....) (81). كما كان الكندي صاحب ذوق في النقد تمثل في موقفه من التراث اليوناني فقد تميز بأنه: (لا يحذو حذو المنقول

عن اليونانية أو السريانية، ولكنه بلغة القدماء يصلحها، أو بالاصطلاح المعاصر يقتبس منها فيضيف إليها، أو يعدلها أو يصوغها صياغة جديدة. بعد أن يتمثلها ويتصور ما فيها من أفكار، ويلائم بين هذه الأفكار وبين مقتضيات العصر، ومطالب الإسلام وطريقته الخاصة في التفكير⁽⁸³⁾. إنها قمة الإبداع والتجديد ورفض الاتباع والتقليد وتقليد الفكر اليوناني دون أي تجديد فيه.

وهذه الروح النقدية المرفوعة المستوى نلمسها أيضا عند جميع فلاسفة الإسلام وكثير من المتكلمين. ويشهد على ذلك الإنتاج الفكري لابن سينا والفارابي وفخر الدين الرازي، والغزالي، وابن رشد ونصير الدين الطوسي والشهرستاني والجرجاني وغيرهم، كثير هذا التراث على الرغم من أنه نقل عن اليونان الكثير فإنه نقده في الأكثر كما أنهم استطاعوا توظيف ما اقتبسوه من التراث اليوناني في معالجة مشاكل العصر بالإضافة والتجديد كما حدث للفارابي في المدينة الفاضلة التي أراد بها بديلا بل رفضا قاطعا ونقدا للواقع الأليم المفجع الذي كان يعيشه المجتمع الإسلامي آنذاك. وبسبب تسلط المتسلطين على ذلك المجتمع وعبثهم بأموره فقام الفارابي بوضع تصور للمدينة الفاضلة ناقدا فيها كل رأى يراه مخالفا لما ينبغي أن يكون حتى لو تعارض مع نظام المدينة الفاضلة اليونانية⁽⁸⁴⁾.

ومن مظاهر النقد الفلسفي الذي اتبعه المتكلمون والفلاسفة سواء في نقدهم للتراث اليوناني أو في دفاعهم عن العقيدة أو في صور الإبداع الفكري - المعارك الفكرية النقدية التي دارت بين الفلاسفة والمتكلمين بعضهم البعض وبين أصحاب الفرقة الواحدة، حتى بين التلميذ وأستاذه كما حدث بين واصل بن عطاء وبين أستاذه أبو الحسن البصري. وكما حدث بين الغزالي والفلاسفة في نقده لآرائهم في قضايا إنكار بعث الأجساد وإنكار علم الله بالجزئيات. والقول بقدوم العالم. مما أدى إلى قيام ابن رشد بالرد عليه ونقده نقدا منهجيا في كتابه تهافت التهافت ملتزما بالحجج والبراهين التي تؤيد رأيه⁽⁸⁵⁾ ومثل موقف ابن رشد أيضا من ابن سينا، في مسألة الوجود والواجب والممكن وأدلة وجود الله⁽⁸⁶⁾.

وموقف ابن تيمية النقدي من ابن رشد ومن ابن سينا، ونصير الدين الطوسي في قضايا الإلهيات⁽⁸⁷⁾.

ومن هذه المعارك النقدية المعارك التي دارت بين كل من فخر الدين الرازي والشهرستاني ونصير الدين الطوسي وبين ابن سينا في قضايا الإلهيات والوجود والأخلاق. فقد قام الرازي بالرد على ابن سينا في شروحه على كتاب الإشارات والتنبهات كما قام الشهرستاني بالرد على ابن سينا في كتابه مصارع الفلاسفة ثم قام نصير الدين الطوسي بمناقشة ابن سينا والرازي والشهرستاني ونقده لهم فيما يستحق النقد ومدحه فيما يستحق المدح من وجه نظره⁽⁸⁸⁾. ونقد الأشاعرة للمعتزلة في كثير من القضايا مثل قضية الكرامات والمعجزات، والنبوة، والصفات، والخبر والاختيار، ونقد بعض المعتزلة للأشاعرة ونقد الخوارج لعلي بن أبي طالب ولباقي الفرق، ونقد الشيعة للخوارج⁽⁸⁹⁾. والحقيقة أن أوجه النقد الموجه من جانب الأغلبية من المتكلمين والفلاسفة يتميز في كثير من المواقف النقدية بشروط المنهج النقدي في مقابل القلة منهم ممن لم يلتزموا بالمنهج النقدي فمنهم من أخفق في الالتزام بالموضوعية ومنهم من تنتابه حالة الالتباس والتشويش ويعانى ما يشبه الأزمة الفكرية، والتي ترجع أسبابها إلى غياب النظرة النقدية. ومنهم من فضل الاتباع للتراث ولأهله على الإبداع، وأصبح من القناعات الراسخة لدى البعض من المسلمين أن الإبداع أسلم وأمن وأصبحت كلمة الابتداع مذمة ومسبه وأضحى الوصف بـ «الإتباع، محمودة ومكرمة واعتقد البعض خطأ أن ديننا دين الإتباع، والإيمان والتسليم لما هو موروث، ولو كانوا على حق فما فائدة العقل إذن؟ لقد أخطئ من اعتقد أن على العقل الإتباع في كل الأمور. فديننا يسمح بالإبداع والبراءع، والاتباع له مجالاته مثل الأصول الكلية العامة. وهي أصول الإيمان الخمسة، وأصول العبادات، وأصول التشريع وأصول الأخلاق، وهذه الأصول محل الإتباع بمعنى التسليم والإيمان بما أنزل به الروحى فى شأن هذه الأصول، ولا يجب الإتباع فى هذه الأصول، ومن ثم فلا حاجة إلى التشكيك والارتياب والنقد فدور العقل هنا هو تلقى الروحى والفهم عن الله تعالى أما مجال الابتداع - أى النظر والاجتهاد العقلى ومن ثم استخدام الحس النقدي. فهو يشمل جميع مجالات الحياة عدا الأصول السابق ذكرها⁽⁹⁰⁾.

وكان لهذا الاعتقاد الخاطئ. ويأن الاتباع أسلم من الابتداع. تأثيره السلبي على العقلية العربية الإسلامية المعاصرة. ويتمثل هذا التأثير فى افتقاد العقلية العربية

المعاصرة إلى روح النقد المنهجي البناء ومن ثم وقوعه ضحية التسليم الساذج واليقين المتعسف الذى لا يستند إلى برهنة صحيحة بالمعتقدات الغربية التى لا تتناسب مع بيئتنا وديننا الإسلامى . مع أن الحس النقدى أو التفكير العقلى الحر يعد فريضة فى الشريعة الإسلامية وهو خطوة حتمية للنهوض إلى العقل . كما زاد من هذا الاعتقاد السابق الذى أدى إلى فقدان الروح النقدية لدى معظم أفراد المجتمع العربى المعاصر . نظم التعليم فى جميع مراحل وأجهزة الإعلام ، ومؤسسات الثقافة التى تتخذ غطاء واحدا هو التبعية والاستنساخ العقلى والبعد عن حالة التفكير الحر المستقل الذى يبدأ بروح من الشك المنهجي والبناء والارتياح الفلسفى والذى أكد عليها رواد النقد من أمثال الغزالي الذى يرى أن منهج الشك هو الموصل إلى الحقائق فمن لم يشك ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال ، وسبقه ابن سينا فى قوله : (ولى فى الأصول الشرقية خوض عظيم فى التشكيك ثم الشك) (91) .

فنحن فى أمس الحاجة إلى هذه الروح النقدية حتى يمكننا النهوض بالحياة الفكرية إلى مستوى الفلاسفة ، وحتى نستطيع أن ندخل عالم التفلسف ونكون فلاسفة كما كان أجدادنا ، نظرا لأنه ثبت أن لا فلسفة بدون روح نقدية .

سابعاً: النقد والدين

إن العلاقة بين النقد والدين محل خلاف وجدل بين معظم رجال الفكر من جانب ، وبين رجال الدين من جانب آخر، وبين الفلاسفة والمتكلمين، ويكمن هذا الخلاف الذي استمر طويلاً حول إمكانية قبول النص الديني للنقد. فمن الفلاسفة والمفكرين من يرى أن النص الديني يقبل النقد شأنه شأن أى بناء فكري وعلمي وعقدي، وفي المقابل نجد من يرى أن النص الديني منزّه عن قبول النقد، ولكي نحسم هذه الإشكالية، يجب أولاً تحديد مفهوم الدين، وما المقصود بالنص الديني؟ وما هي خصائصه وعلى ضوء مفهومنا للدين وللنص الديني وخصائصه نستطيع أن نعرض للمشكلة بموضوعية.

1- مفهوم الدين وخصائصه

الدين في مفهوم رجال الدين والفكر واللغة كما أوضحه الراغب الأصفهاني، والنيسابوري، وأبى البقاء، والشهرستاني⁽⁹²⁾. هو: الطاعة والجزاء والانقياد، والدين عندهم لا يكون إلا وحياً من الله إلى أنبيائه الذين يختارهم من عباده ولهذا يقول رب العزة في قوله تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، والله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب)⁽⁹³⁾. وفسر الرازي بأن المراد بـ «شرع لكم من الدين»: دينا تطابقت الأنبياء على صحته، وأكد ذلك في قوله تعالى: (وأنزّلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه، فأحكم بينهم بنا أنزل الله، ولا تتبع أهوائهم عما جاءك من الحق...)⁽⁹⁴⁾. أما مفهوم الدين في عرف المناطق العربية هو: (الإيمان بأمر وراء هذا الوجود الظاهر الحاضر، أمر غيبي خارق للطبيعة، مجاوز للآنى وللمكانى، تصل بالأبدى اللازمانى)⁽⁹⁵⁾.

وماهيته فيما عبر بعض الباحثين المعاصرين هي: (التمييز بين عالمين مختلفين اختلافاً جوهرياً، أو هو الإيمان بنوع من الموجودات أسمى من سائر الأنواع في عالم الشهادة)⁽⁹⁶⁾.

والخلاصة التي يتفق عليها الأغلبية بأن الدين هو الوحي المنزل من عند الله على رسوله، ونعني به النص القرآني أو أي وحى آخر لا التشريعات التي تصدر عن النص القرآني الذي ينتج نتيجة الاجتهاد والتأويل البشري، فهذا ما يسمى بالفكر الديني، والفكر الديني يعتمد على الخيال والرمز، ويخاطب العامة والخاصة، ولهذا فالفكر الديني يقبل المناقشة والحوار والنقد، عكس النص المنزل، فالدين كما قال الطبري واحد والشريعة مختلفة⁽⁹⁷⁾.

أما عن خصائص النص الديني، سواء كان قرآنا أو أي كتاب مقدس منزل من عند الله، فأهم خصائصه، إعجازه في أسلوبه، ونظمه، وبلاغته وإعجازه بما فيه من علم الغيب وخلوه من الاختلاف⁽⁹⁸⁾.

فلا يستطيع أحد أن يأتي بمثله سواء في أسلوبه، أو نظمه، ولفظه وبلاغته..... الخ.

وبالرغم من وضوح هذا المفهوم للنص الديني والذي يفهم منه أن النص الديني منزله عن المعارضة والنقد. فإنما نجد الخلاف حول ما إذا كان النص الديني يقبل النقد أم لا؟ وانقسم المفكرون والعلماء والفلاسفة والأدباء ورجال الدين بين مؤيد لنقد الدين، وبين رافض لهذا النقد.

2- القائلين بنقد الدين⁽⁹⁹⁾

إن نقد الدين بدأ منذ أن خلق الله آدم وقال له: (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامها رغدا حيث شئتما ولا تقريا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلهما الشيطان عنها. فأخرجهما مما كان فيه)(100).

وهنا نقد آدم كلام الله وأكل منها فكان جزاؤه النزول من الجنة إلى الدنيا، ومن مظاهر النقد الديني أيضا. ما جاء في قصة إبراهيم في قوله تعالى: (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لآكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنى برئ مما تشركون إنى وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا، وما أنا من المشركين)(101). بين إبراهيم في هذه الآيات بطلان عبادة قومه للهيكل والأصنام، ورفضهم عبادة الله تعالى

فأستدل على خطيئهم وأنهم لا محال من اتباع قوله تعالى . وكما تدل هذه الآيات على أن هناك من قام بنقد النص الدينى ، تدل أيضا على عدم قبوله للنقد .

ومن هنا ظلت نزعة النقد الدينى تراود البعض فى كل عصر من العصور، على الرغم من أن الدين فطره أساسية من الفطر الذى فطر عليها خلقه، وإن كنا نجد من هؤلاء النقاد من يؤمن بوجود الإله لكنه لا يؤمن بالوحى سواء كان قرآنا أو غيره، وأنكر النبوات . كما هو الحال عند أبى العلاء المعرى⁽¹⁰²⁾ . ولو تتبعنا تاريخ الرعى النقدى للدين، نجد أن التاريخ حافل بنقاد الدين فى كثير من أشكاله . فلو بدأنا بنقاد الدين من أصحاب الفكر اليونانى نجد أن «زینوفان» الفيلسوف اليرنانى فى القرن السادس ق.م قد ذهب إلى أن تعدد الآلهة جاء من اختلاف الشعوب وتعدد المدن، فكل مدينة شبعت الإله على حسب تقاليدها فى الملبس وفى الهيئة فالناس يعتقدون أن الآلهة تولد، وأنها ترتدى ملابس كما يرتدون، ولهم أصوات وأجسام مثلهم، ولو أن للثيران والخيل والأسود أيادى يرسمون بها، ولو كان فى استطاعتهم أن تضع أثارا أو أعمالا فنية كما يفعل البشر لرسمت الخيول ألتهتها على هيئة جياذ أو أسود ويرى البعض أن هذا ليس إلحادا ولا كفرا، وإنما هو نقد لشكل معين من أشكال الدين ظهر فى أساطير اليونان كانت الآلهة فيه تأكل وتشرب وتتشاجر، وتحب وتكره، وتسرق وتخون، وتمارس الجنس، وتلد وتولد وتخطف وتغضب وتغدر - حسب اعتقاد البعض ولهذا يرى البعض أن «زینوفان» قال بإله واحد كما أقر ذلك أبو العلاء المعرى فى مقابل التعدد الذى كان سائدا فى الديانة اليونانية⁽¹⁰³⁾ .

أما «أنكساجوراس» ، 450 ق.م، الفيلسوف اليونانى أيضا . الذى عبر عن حالة الوعى الدينى فى العصر اليونانى فى موقفه النقدى للدين فقد كان أكثر «راديكالية» من موقف «زینوفان» لأنه يتضمن رفضا للمفاهيم الدينية نفسها والسبب أن الفيلسوف صدم الشعور الدينى المحافظ عند الاثنين عندما أعلن أن الشمس مجرد قطعة ملتهبة من الحجر وأن القمر حجر أيضا . وهذا تنفيذ ونقد للمفهوم الدينى عند اليونان .

وما يقال عن «انكساجوراس» ، يقال عن سقراط الذى اتهم بالإلحاد لأنه رفض كغيره من الفلاسفة الصورة الأسطورية للدين التى كانت شائعة فى بلاد اليونان واستمر ما يسمى بالوعى النقدى للدين مواكبا لدين الإنسان ولظهور أشكال العبادات المختلفة التى كانت أسطورية فى بدايتها⁽¹⁰⁴⁾ .

أما عن مظاهر النقد الدينى فى العصور الوسطى عند مفكرى الإسلام، من فلاسفة ومتكلمين وأدباء، فقد أخذ النقد الدينى عند المسلمين العديد من الأشكال منها ما هو رفض للدين وللنبوة، ومنها ما هو رفض بعض آياته ومنها النقد الموجه لآراء الآخرين ومفهومهم للدين مثال ذلك نقد المعتزلة للصفانية ونفيهم للصفات ونقد الغزالي وابن تيمية للفلاسة فى مفهومهم عن الصفات والخير والاختيار. وسنعرض بشئ من الإيجاز لمظاهر النقد المرفوض للدين من هذه النماذج ما قام به كل من .

عبد الله بن سبأ: الذى نقد كل من قال على مات. وادعى بالوهية على بن أبى طالب، وأنه لم يموت ولن يموت لأن فيه جزء إلهيا ومن فيه جزء إلهى لم ولن يموت، واتبعه غلاة الشيعة فى ذلك بادعائهم ألوهية على .

كما زعم عبد الله بن سبأ وفرقته التى تسمى السبائية: برجعة النبى وبنوا نظريتهم هذه على تحريفهم بعض آيات القرآن، فكما أن عيسى يجب أن يرجع فإن على سيرج إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا⁽¹⁰⁵⁾.

العجاردة والميمونية: فقد ذهبوا إلى أن سورة يوسف ليست من القرآن وإن كان أبو الحسن الأشعري يشك فى هذا بقوله: (وحكى لنا عنهم ما لم نتحققه أنهم يزعمون أن سورة يوسف ليست من القرآن)⁽¹⁰⁶⁾.

ابن الرواندى: زعم ابن الرواندى: (أن بعض تعاليم الدين منافع لمبادئ العقل، كالصلاة والغسل، والطواف ورمى الجمار والسعى بين الصفا والمروة، وهما حجران لا ينفعان ولا يضران.....)⁽¹⁰⁷⁾. وأن هذا لا يختلف عن أبى قيس وحراء، كما قال أليس الطواف بالكعبة كالطواف بغيرها من البيوت؟ والمعجزات عنده غير مقبولة جملة وتفصيلا، ويرى أن رواية المعجزات كذابون لأنه من يصدق بأن الحصى يسبح أو أن الذئب يتكلم؟ كما أنكروا أن يكون هناك ملائكة أنزلهم الله يوم بدر لنصرة المسلمين، وإذا صح ذلك فأين الملائكة يوم أحد حين توارى النبى ﷺ، بين القتلى ولم ينصره أحد.

أما عن بلاغة القرآن على تسليمها ليست بالأمر الخارق للعادة، لأنه لا يمتنع أن تكون قبيلة من العرب أفصح من القبائل كلها، ويكون فى هذه القبيلة طائفة أفصح من

البقية، ويكون في هذه الطائفة واحد هو أفصحها. ثم يقول: وهب أن محمدا ﷺ،
غالب العرب في فصاحتهم وغلبيهم فما حكمه على العجم الذين لا يعرفون هذا اللسان
وما حجته عليهم (108).

وإذا حللنا كلام ابن الرواندى جيدا نجد أنه يتبع الكثير من آراء المعتزلة خاصة
في قولهم بالحسن والقبح العقليين، فهنا يعتمد ابن الرواندى على العقل في كل شئ
غير معترف بالشرع ناقدًا له فيما جاء به من أوامر وعبادات. وقد ألف ابن الرواندى
بعض مؤلفاته معارضا وناقدا في هذه المؤلفات القرآن الكريم والنبى. من هذه الكتب:
كتاب «الدامغ» يعارض فيه القرآن، وكتاب «الفرند» طعن فيه على النبى وكتاب
«الزمردة» في إنكار الرسل وإبطال رسالتهم.

أبو بكر الرازى: ليس أبو بكر محمد زكريا الرازى، ولد 250 هـ، أقل خطرا
على الإسلام من ابن الرواندى بل كان أكثر في خطورته نظرا لعلو مكانته العلمية
خاصة في مجال الطب والرياضيات والفلك والأدب.

والرازى كفيلسوف مسلم يختلف عن باقى فلاسفة المسلمين في كثير من
الجوانب، فبينما نجد فلاسفة الإسلام ينتصرون لآراء فلاسفة اليونان بالأخص أرسطو،
نجد الرازى يهاجم أرسطو ويتحيز لآراء المزدكية والمانوية والمعتقدات الدينية كما
ينتقد فلاسفة الإسلام في دورهم في محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة ويرى أن
الفلسفة هي الوسيلة الوحيدة لإصلاح الفرد والمجتمع، والأديان عنده مدعاة للحروب
والتنافس الطاحن الذى لا طائل من ورائه ويتضح ذلك في مؤلفاته من أمثال:
«مخاريق الأنبياء أو حيل المتنبيين»، و«نقض الأديان أو فى النبوات».

وهذا الأخير قد لاقى قبولا كبيرا لدى بعض الطوائف مثل القرامطة (109).
وتمثل آراؤه في هذه المؤلفات وغيرها أعنف حملة وجهت إلى الدين والنبوة طوال
القرون الوسطى فمن الحملات التى شنّها على الأنبياء والدين رأيه أن الأنبياء لا حق
لهم فى أن يدعوا لأنفسهم ميزة خاصة، عقلية كانت أو روحية، فان الناس كلهم
سواسية، وعدل الله وحكمته تقضى ذلك.

أما عن رأيه فى المعجزات فهو لا يقل عن رأى ابن الرواندى، فهى عنده ضرب
من الأفاصيص الدينية أو اللباقة والمهارة التى يراد بها التغرير والتضليل، والتعاليم

الدينية في مجملها، متناقضة يهدم بعضها بعضا، ولا تتفق مع المبدأ القائل بأن الحقيقة ثابتة. ذلك لأن كل نبي يلغى رسالة سابقة ويدعى بأن ما جاء به هو الحق، ولا حق سواه، ويتلخص موقفه من الدين، والنبوة والأئمة في قوله: (الأولى بحكمة الحكيم، ورحمة الرحيم أن يلهم عباده أجمعين معرفة منافعهم ومضارهم في عاجلهم وأجلهم، ولا يفضل بعضهم على بعض، فلا يكون بينهم تنازع ولا اختلاف فيهلكوا، وذلك أحوط لهم من أن يجعل بعضهم أئمة لبعض فتصدق كل فرقة إمامها وتكذب غيره ويضرب بعضهم بالسيف ويعم البلاء ويهلكوا بالتعادي والمجازبات) (110).

وهذا الذي ذهب إليه ابن الرواندى والرازى من نقد للدين في كثير من أشكاله قد أثار الأوساط الإسلامية بالرد عليهم من أمثال هؤلاء: أبو على الجبائى الكبير، 303هـ وابنه أبو هاشم، 324هـ من المعتزلة، وأبو الحسن الأشعري، 324هـ من أهل السنة، ومحمد بن الهيثم الفلكى والرياضى، 430هـ، الذى أخذ على عاتقه نقد آراء الرازى فى الإلهيات والنبوة، كما قامت فرقة الإسماعيلية بجهود كثيرة فى الرد عليه بالرغم من مغالاتهم. كما قام الفارابى بدوره كفيلسوف مسلم بالرد عليهم فى موضوع النبوة (111).

هذه نماذج للنقد الدينى عند بعض مفكرى الإسلام فى العصور الوسطى أما عن موقف مفكرى الإسلام فى العصر الحديث والمعاصر. فنجد أن هناك تأثيرا بموقف فلاسفة الغرب المحدثين والمعاصرين، ومن أمثال هؤلاء ما قام به سلامة موسى التلميذ النابغ للفكر الأوربى. الذى نقد ما جاء به الدين الإسلامى فى شأن حجاب المرأة وسترتها عن أعين الرجال كما جاء فى قوله تعالى: (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) (112).

فيعارض سلامة موسى ما جاء فى الآية الكريمة، ويدعو إلى سفور المرأة مدعى أن الحل السليم فى علاج ضعف الأخلاق والجهل الفاشى بين الناس وسوء التربية المنزلية هو فى سفور المرأة وخلعها الحجاب (113). بينما رأى الدين غير ذلك إذ يرى الدين الإسلامى أن الحل الوحيد لهذه المشاكل الأخلاقية وبالأخص انحراف الشباب يكون فى حجاب المرأة، ويؤكد ذلك ما قام به الرئيس الأمريكى بوش من طلب

السماح له بفصل البنات عن البنين في المدارس بعد أن ثبت علمياً أن سوء الأخلاق سببه الاختلاط.

كما ذهب محمد أركون إلى الدعوة لنقد الدين. ويستنكر على رجال الدين الذين يستخدمون العقل، ولكنهم يرفضون تطبيق المنهج النقدي على العقائد الدوغمائية التي قدست، فهنا يسمى محمد أركون العقائد الدينية بالدغمائية فيقول: (لا أعرف فقيها معاصراً واحداً يقبل بإعادة طرح مسألة القرآن ككلام مخلوق من قبل) (113). ويؤكد على ذلك صادق جلال العظم بأن النص الديني يقبل النقد ويرى أن الروح العلمية بعيدة كل البعد عن أن يكون دور المفكر والفيلسوف والعالم مجرد تأويل وتفسير وشرح الشروح، ويرفض هذا بحجة أن العلم لا يعترف بوجود نصوص لا تخضع للنقد الموضوعي والدراسة الجدية) (114).

ونرى أن ما ذهب إليه هؤلاء ما هو إلا ترويد وتأثر من فلاسفة الغرب. فقد سادت أوروبا موجه من الهجوم على الدين تأثر بها مفكرون من هذه الموجات التي تعددت في أفكارها وموقفها من الدين، والعلم والأدب فبينما نجد أن لسان حال المناهضين في الدين يقولون انشدوا الحق في الكتاب المقدس، ولا تبالوا بالكهنة والكنيسة. نجد أن لسان حال المناهضين في العلم يقول: دعنا مما حفظناه عن أرسطو وجالينوس، واعدد إلى بوتقتك وجرب وخذ مشرطك وشرح. ولسان حال المناهضين في الأدب يقول: انشدوا الحقيقة في كتب القدماء وخاصة الإغريق ولا تبالوا بالكتاب المقدس (115).

كما ذهب جون استيورت مل الفيلسوف التجريبي، إلى رفض الاعتقاد الديني وانتقد كونت لأنه: (أغلق المناقشة الفلسفية عن الله قبل الأوان، ولأنه لم يسمح بالحرية العقلية في مثل هذه المسألة المتشعبة الجوانب) (116). وأصبح جل اهتمامات مل أن يبحث إلى أي مدى يمكن لكل من الفكر الظاهري والوضعي موقف من اعتناق مفهومه عن الإله كما رفض هرسل الموقف الديني الرسمي، كمنهج الطريق الموصل إلى الله، ولا يرضى إلا بإيمان الفيلسوف، نظراً لاعتماد الفيلسوف على العقل الخاص دون مساعدة خارجية سواء من الكنيسة أو غيرها أو حتى من الله (117).

ومن الفلاسفة المعاصرين الذين نقدوا الوعي الديني «فيورباخ، الفيلسوف الذي

هاجم المسيحية بعنف ورأى أن الدين ضرب من الاعتراف، كما يرى أن الإنسان لا يلجأ إلى الدين أو إلى الإله إلا في حالة شعوره بالضعف. فيلجأ إلى الله اعتقاداً منه بأنه أقوى. والمتفحص لموقف هؤلاء يجد أن معظمهم كان نقده لشكل من أشكال الدين لا لدين في حد ذاته وبعضهم للدين ككل من اعترافه بوجود إله لأن الحس الديني يكمن في أعماق كل قلب بشري (118).

هذا عرض وتحليل لموقف الناقد للدين، والذي نخرج منه بأن هؤلاء كان موقفهم من الدين إما رفض الدين مطلقاً وبالتالي هو رفض النبوة، أو رفضهم لبعض أشكال الدين وفي المقابل لهذه الآراء من يرى أن النص الديني لا يقبل النقد وهذا ما سنعرض له.

3- الراضين لنقض الدين

في مقابل ما عرضنا لرأى القائلين بقبول الدين للنقد ومن قاموا بنقده بالفعل من فلاسفة ومتكلمين ومفكرين. نجد من يرى عكس ذلك ويرفض رفضاً قاطعاً نقد النص الديني، ومن الذين رفضوا هذا النقد من مفكرى الإسلام الكثير من أمثال أبو الحسن الأشعري وابن تيمية، وابن القيم الجوزية والغزالي، والجبائي وابن الجوزي والجاحظ، والشهرستاني، والمقدسي، وابن حزم الأندلسي وغيرهم كثير ونستشهد على ذلك بموقف البعض أمثال عبد القاهر الجرجاني المتكلم الأشعري، 471هـ، (120) الذي خصص كتاباً للرد على منتقدي أو متحدى القرآن وهو كتاب «دلائل الإعجاز» بين فيه أوجه النقد الذي وجه للقرآن، والرد على هذا النقد بأدلة من القرآن نفسه لأن القرآن سبق وأن تحدى منتقديه كما جاء في قوله تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله)(121). كما جاء في قوله تعالى: (قل فاتوا بعشر سور مثله)(122).

وكما رد الجرجاني على من أرادوا التحايل وقالوا يجوز أن يكون الله تعالى قد أمر نبيه ﷺ، بأن يتحدى العرب إلى أن يعارضوا القرآن بمثله من غير أن يكونوا قد عرفوا الوصف الذي إذا أتوا بكلام على ذلك قالوا يجوز. فقد أبطلوا التحدى من حيث التحدى لأن التحدى لا يجوز فيه الجواز. وفي رده على المعتزلة القائلين بقبول الدين للنقد كما أكد أن هذا مستحيل، واعتبر التعرض للنص الديني بالنقد يعد نكته، واستدل

على رأيه بأنه إذا سقنا دليل الإعجاز، فقلنا: لولا أنهم حين سمعوا القرآن، وحين تحدوا إلى معارضته، سمعوا كلاما لم يسمعوا مثله قط، وأنهم رازو أنفسهم بأحسوا بالعجز عن أن يأتوا بما يوازيه أو يدانيه، أو يقع قريبا منه، لكان محالا أن يدعوا معارضته، قد تحدوا إليه وقرعوا فيه، وإن تساءلوا عن وجه الإعجاز هل المعنى أو اللفظ؟ وإذا كان الإعجاز فى اللفظ فما هو وجه الإعجاز فيه؟ فأجاب الجرجاني بأنه قد أعجزتهم مزايا ظهرت لهم فى نظمه، وخصائص صادفوها فى سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها، وسورة كل عظمة وتنبيه وإعلام وتذكير وترغيب وترهيب ومع حجه وبرهان، وصفة وبيان، وبهرهم أنهم تأملوا سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية فلم يجدوا فى الجميع كلمة يبنوا بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها أو يرى أن غيرها أصلح... بل وجدوا اتساقا بهر العقول، واعجز الجمهور، واتقانا وأحكاما خرس الألسن عن أن توعى وتقول.....(123).

كما يرد الجرجاني على ادعاءات البعض ممن ادعوا أنه كان يوجد من المتأخرين من البلغاء من أمثال الجاحظ وأشباهه من نقد، وعارض القرآن، ولكنهم تركوه خوفا، أو أنهم فعلوا ذلك ثم أخفقوه فاعتبر الجرجاني أن من ادعى ذلك فهو من الملاحدة، وأنه لم يتصور ذلك، ولم يتصور أن هناك أناس من أمثال الجاحظ وغيره قال ذلك، وإذا تصوره فإنه لم يستطعه(124).

ولكى يدعم الجرجاني رأيه السابق أورد رأى الجاحظ فى شأن إعجاز القرآن فيقول - أى الجاحظ : (ولو أن رجلا قرأ على رجل من خطابهم وبلغانهم سورة قصيرة أو طويلة، لتبين له فى نظامها ومخرجها ومن لفظها وطابعها أنه عاجز عن مثلها، ولو تحدى بها أبلغ العرب لأظهر عجزه عنها)(125). إذا كان هذا رأى الجاحظ فكيف يحاول التحدى؟

ويؤكد الجرجاني على ذلك بأدلة عقلاء العرب على عجز العرب عن معارضة القرآن. بأن النبى ﷺ: (تحداهم وفيهم الشعراء والخطباء الذين يدلون بفصاحة اللسان وبراعة البيان، وقوة القرائح والأذهان والذين أتوا الحكمة وفصل الخطاب، ولم نراهم قالوا: إن النبى ﷺ، تحداهم وهم العارفون بما ينبغى أن ينصع حتى يسلم الكلام من أن نكتفى فيه بحروف تثقل على اللسان)(126).

ومن المعارضين للنقد الدينى: المقدسى ،محمد بن موافق الدين بن عبد الله قدامة المقدسى، الذى عارض بشدة منتقدى الدين كما جاء فى كتابه «لمعة الاعتقاد» (127). واستدل على ذلك بأن القرآن وحى منزل من عند الله غير مخلوق وهو سور محكمات، وآيات بينات: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.....) (128). كما رد على من زعم أن القرآن شعر بقوله: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) (129). وكما قال على ،رضى الله عنه،: (من كفر بحرف منه فقد كفر به كله) (130).

فما بال من يجد بالقرآن كله أو بسورة منه أو بآية. كما ذهب الروافض من الشيعة بأجمعها إلى رفض أو نفى اجتهاد الرأى فى الأحكام وإنكاره (131).

كما اختلفت المعتزلة فى نظم القرآن هل هو معجز أم لا؟ وانقسموا إلى ثلاثة آراء: الأول ويشمل أغلب المعتزلة إلا النظام وهشام الفوطى، وعباد بن سليمان رأوا أن القرآن ونظمه معجز محال وقوعه منهم كاستحالة إحياء الموتى منهم، وأنه علم الله ﷻ، والثانى ومنهم النظام: ذهبوا إلى أن الآية والأعجوبة فى القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع. والثالث: ومنهم هشام وعباد. زعموا أن القرآن أعراض ومن هو عرض لا يدل على الله سبحانه وتعالى ولا على نبوة النبي ﷻ، (132).

ويرى محمد عبده ومحمد رشيد رضا بأنه بالرغم من أن دواعى النقد للقرآن عند العرب وغيرهم موجودة لكنه لم يستطع أحد أن يقيم الدليل على هذا النقد.

إذا لو وجد معارض الآتى بسورة من مثله، ولكن ما حدث ما هو إلا فتنة إرتد بها المسلمون وغيرهم على أديارهم. فحاولوا أن يتحدوا فعجزوا ولم تزل البشرية عاجزة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (133).

ويؤكد الشيخ محمد عبده هذا التحدى فى قوله: (وكان يتحداهم بمثل هذه الآيات الصادقة التى تثير النخوة وتهيج الغيرة مع علو كعبهم فى البلاغة ورسوخ عرفهم فى أساليبها وفنونها فى عصر ارتفعت فيه دونه الكلام ارتقاء لم تعرف مثله الأيام حتى كانوا يتبارون فيه ويتنافسون ويباهون ويفاخرون ويعقدون لذلك المجامع، ويقومون الأسواق ثم يطيرون بأخبارهم فى الأفاق، ومع ذلك لم يقدر أحد منهم للمعارضة ولم ينهض بليغ من مصاقعهم إلى المناهضة) (134).

كما يؤكد محمد رشيد رضا ما ذهب إليه أستاذه محمد عبده بأن ما ورد في الخبر المتواتر يدل على أنه مع طول زمن التحدى، ولحاج القوم فى التصدى للقرآن فإنهم أصيبوا بالعجز وانتابتهم الحقيقة، وتحقق للكتاب الكلمة العليا⁽¹³⁵⁾. ويؤيد ما ذهب إليه مفكرو الإسلام من رفض النقد الدينى، كثير من فلاسفة ومفكرى الغرب من هؤلاء الفيلسوف هوبز حيث يرى أنه دين الدولة الواجب محتوم على كل مواطن، والدين بالإجمال ظاهرة طبيعية، وليس فلسفة بل هو شريعة لا تحتمل مناقشة ولا النقد بل تقتضيه الطاعة⁽¹³⁶⁾. على عكس من الفكر الفلسفى الذى يعتمد على الخيال والرمز أما الدين فهو قائم كما أثبتنا ذلك على الوحى المنزل،، وليس من حق أحد آخر أن يبنى دينا على شئ آخر من عنده اللهم إذا كان خارجا عن هذا الدين⁽¹³⁷⁾.

كما أن القرآن يتميز عن باقى الكتب المقدسة. مثل التوراة والإنجيل فالقرآن وحى منزل من عند الله على الرسول، والإنجيل والتوراة من وضع البشر. ويؤكد ذلك سبينيوزا أن التوراة لم يؤلفها موسى، ولا ألف أسفارها الخمسة المعروفة كما أكد الفرنسيون على ذلك حتى أن ابن عزرا وهو العالم الناقد لم يجرؤ على الجهر بذلك وإنما قال ألف التوراة إنسان آخر عاش بعد موسى بوقت طويل⁽¹³⁸⁾.

كما نفى فولتير - وهو صاحب مبادئ النقد التاريخى للكتب المقدسة. أن يكون الإنجيل وحيا نزل على عيسى أو هو كلام عيسى، فإنجيل متى لم يكتب إلا بعد أن استولى تيطوس على بيت المقدس، ولا يوجد به أثر للوحى بل هو مجرد عمل من أعمال البشر، كما قارن فولتير بين الأناجيل الأربعة. فى محاولة منه لحل تعارضها وبين أوجه الإختلاف فى نسب المسيح بين متى ولوقا ولكنه يقرر أن الأناجيل الأربعة كانت فى بداية نشأتها كتباً سرية دونت فى القرن الأول بعد المسيح وخبئت فى القرن الثانى، وكان قصدها تعليم العامة، كما يرى أن الجماعة المسيحية الأولى قد عبرت عن نفسها فى كتابات عديدة لا حصر لها ثم جاء كتاب الأناجيل فألقوا بينها حتى ظهرت لدينا فى القرن الثانى عدة أناجيل طويلة وصلت إلى خمسة أجزاء أو خمسة أناجيل حسب كتب موسى الخمسة لكن الكنيسة لم توافق إلا على أربعة أناجيل فقط⁽¹³⁹⁾.

ومن هنا نستطيع التفرقة بين النص القرآني، وبين نص الإنجيل والتوراة، وبهذه التفرقة والتي تميز فيها القرآن بخصائص تمنع قبوله للنقد من هذه الخصائص: أن القرآن وحى منزل عكس التوراة والإنجيل. وأن لغته معجزة كما ثبت ذلك من خلال هذه الدراسة، أما التوراة والإنجيل، فأصبح محلاً للنقد لجميع أسفاره سواء لأسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد من علماء الغرب كما ورد في دراستهم النقدية اليهودية والمسيحية سواء في المنهج أو القضايا والنتائج (140).

خاتمة

نخرج من هذه الدراسة المتواضعة والتي دارت حول المنهج النقدي وعلاقته بالفكر الفلسفي والدين، بالعديد من النتائج والتوصيات فأولى هذه النتائج:

أن المنهج النقدي يعد ضرورة لا غنى عنها لكل باحث في الفكر بكل أنواعه حتى الفكر الديني. لأن الفكر الديني ما هو إلا فكر المفكر عن النص الديني، ومن حق أى إنسان ينقد هذا الفكر البشرى، لأن النقد يعد فطرة من فطر الإنسان.

ثانياً: أن النقد الذى اتخذ عدة مفاهيم وأشكال منها ما يقصد به المعارضة أو الهجوم والهدم لا البناء وهذا الشكل مرفوض فى دراستنا أما النقد الذى هو المناقشة والفهم والتحليل وهو المقصود، يجب أن نستخدمه فى جميع مجالات الحياة.

ثالثاً: عن موقف النقد من النص الديني نخرج من هذه الدراسة بأن النص الديني لا يقبل النقد بمفهوم المعارضة والهجوم. لكنه قد يقبل النقد بمعنى المناقشة والفهم وهذا فى المعانى دون الألفاظ بمعنى أن لفظ القرآن لا يقبل النقد حتى بمفهوم المناقشة أما معناه فقد يقبل النقد بمعنى المناقشة والفهم.

رابعاً: نخرج أيضاً من هذه الدراسة إلى أن استخدام النقد لمجرد النقد فهو مرفوض إلا إذا توافرت فيه شروط وقواعد النقد من موضوعية ومعرفة الالتزام بالمبادئ والأسس التى يجب أن يتبعها الناقد.

خامساً: وعن علاقة النقد بالفلسفة والفلسفة هى النقد والنقد هو الفلسفة، ولا توجد فلسفة أيا كانت هذه الفلسفة، بدون موقف نقدي ولهذا فلا يمكن التقدم إلا إذا كان لدينا منهج فلسفي قائم على أسس نقدية وهنا دعوة لاستخدام المنهج النقدي التحليلي الوصفي المعرفي فى كل مراحل التعليم حتى نربى أبنائنا على حاسة النقد وحتى نستطيع اللحاق بكل تطورات العصر.

وهذا وباللله التوفيق،،،

الهوامش والمراجع

- 1) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة نقد.
- 2) المعجم الوسيط: مادة نقد، وأنظر أيضا: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، مؤسسة الرسالة طبعة أولى، 1992، ص 22.
- 3) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي: القاموس المحيط المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت ج 1، فصل النون باب الدال، ص 453.
- 4) محمد بن أبي بكر القادر عبد الرازي: مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، 1976، ص 675.
- 5) د. محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، دار النهضة مصر، بدون تاريخ، ص 14.
- 6) رينيه ويليك. مفاهيم نقدية، ترجمة د. محمد عصفور عالم المعرفة عدد فبراير، 1987، ص 15.
- 7) د. مراد وهبه وآخرون، المعجم الفلسفي، دار الثقافة الجديدة ط2 1971، ص 242.
- 8) د. محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر ص 5.
- 9) د. عاطف العراقي: ثورة النقد في عالم الأدب والفلسفة والسياسية دار الوفاء، 2000، ص 11.
- 10) م. سابق، ص 33.
- 11) د. محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر، ص 11.
- 12) ج. لانسون: منهج البحث في تاريخ الآداب ص 21 ضمن كتاب: منهج البحث في الأدب واللغة، ترجمة دار العلم للملايين، بيروت 1946.
- 13) على أدهم: على هامش الأدب والفن، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998، ص 220 الكويت.
- 14) رينيه ويليك: مفاهيم نقدية، عالم المعرفة فبراير 1987، ص 10.
- 15) م. السابق، ص 10.
- 16) م. السابق، ص 42.

- (17) م . السابق، ص 410 .
- (18) د . محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص 5 وأنظر أيضا ستانلى ها- عن: النقد الأدبى ومدارسه الحديثة، ترجمة إحسان عباس د . محمد يوسف نجم - دار الثقافة بيروت ص20، نقلا عن د . عبد الرحمن بن زيدان: إشكالية المنهج فى النقد المسرحى العربى، المجلس الأعلى للثقافة 1995، ص 58 .
- (19) خالص جلبى: فى النقد الذاتى، مؤسسة الرسالة، 1984 ص13 .
- (20) ابن أبى شيببة، ج7، ص 96، أخرجه بن ماجه فى الزهد 4250، حديث رقم 2383 .
- (21) رينية ويليك: مفاهيم نقدية، عالم المعرفة الكويت فبراير، 1987، ص 409 .
- (22) الذاريات: آية 20، 21 .
- (23) البقرة: آية 44 .
- (24) د . حسن حنفى: هموم الفكر والوطن، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998، ص 2، ص 301 .
- (25) م . السابق، ص 302 - 303 .
- (26) خالص جلبى: فى النقد الذاتى ضرورة النقد الذاتى للحركة الإسلامية مؤسسة الرسالة، سوريا، ط2، 1984، ص19 .
- (27) محمد أركون: قضايا فى نقد العقل الدينى، ترجمة هشام صالح دار الطليعة، بيروت - 2000 ط2، ص50 .
- (28) سورة القيامة: آية2 .
- (29) سورة القلم: آية 29 .
- (30) خالص جلبى: فى النقد الذاتى، ص 20 .
- (31) م . السابق ص14 .
- (32) على أدهم: على هامش النقد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998 ص 223 .
- (33) م . السابق، ص 223 .
- (34) م . السابق ص152 .
- (35) م . السابق، ص 217 .

- (36) م. السابق، ص 21.
- (37) د. فؤاد زكريا: التفكير العلمي. الطبعة الثانية، عالم المعرفة الكويت، 1988، ص 280-281. وأيضا، د. بركات محمد مراد: فلسفة ابن باجه واتجاهه النقدي، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الثامن 1999، ص 187.
- (38) د. عاطف العراقي: ثورة النقد في عالم الأدب والفلسفة والسياسة، القسم الأول، دار الوفاء الإسكندرية 2000، ص 13.
- (39) على أدهم: على هامش الأدب والنقد، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998، ص 223.
- (40) د. عاطف العراقي: ثورة النقد، ص 13.
- (41) د. عثمان أمين: الجوانية، دار القلم، 1963، ص 253.
- (42) م. السابق ص 13.
- (43) د. محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص 18.
- (44) أنظر تفاصيل ذلك: زكريا البيري: الاجتهاد وفي الشريعة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1981، القسم الرابع، ص 224-225.
- (45) على أدهم: على هامش الأدب، ص 157.
- (46) رينيه ويليك: مفاهيم نقدية، عالم المعرفة ترجمة د. محمد عصفور فبراير 1987 ص 419.
- (47) م. السابق، ص 9.
- (48) خالص جليبي: في النقد الذاتي، ص 19.
- (49) د. عاطف العراقي: الفلسفة العربية مدخل جديد، لونجمان، 2000 ص 234.
- (50) د. عاطف العراقي: ابن اشد فيلسوفا عربيا بروح غربية، المجلس الأعلى للثقافة، 2002، ص 29.
- (51) على أدهم: الحس النقدي عند ابن رشد على هامش الأدب والنقد، الهيئة العامة المصرية للكتاب 1998، ص 150.

- (52) د. عاطف العراقي: مجلة الفكر، المجلد 27 العدد الرابع أبريل - يونيو، 1999، ص 69-68.
- (53) د. حسن حماد: المنهج والنظرية في مدرسة فرانكفورت المؤتمر السنوي للجمعية الفلسفية المصرية 2001، ص 8.
- (54) د. عاطف العراقي: الفلسفة العربية مدخل جديد، لونجمان، 2000 ص 234.
- (55) د. نازلي إسماعيل: الفلسفة النقدية، 1971، ص 59.
- (56) د. عاطف العراقي: الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل، ص 13.
- (57) ب. برونل، د. فاديلينا، د. كوتى، ج.م. جليكسون، ترجمة هدى وصفى، النقد الأدبي، مكتبة الأسرة، 1999، ص 11.
- (58) عبد السميع سيد أحمد: أزمة الهوية في الفكر التربوي في مصر، في دراسات تربوية، القاهرة: عالم الكتب، ج1، نوفمبر 1985 ص 121.
- (59) د. عاطف العراقي: الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل، ص 13.
- (60) ب. برونل - د. ماتيلينا - ود. كوتى - ج.م. جليكسون: النقد الأدبي، ترجمة د. هدى وصفى مكتبة الأسرة 1999، ص 16.
- (61) النقد الأدبي: ترجمة د. هدى وصفى، ص 23.
- (62) م. السابق، ص 25.
- (63) م. السابق، ص 14.
- (64) رينيه ويليك: مفاهيم نقدية، ترجمة د. محمد عصفور، عالم المعرفة، فبراير، 1987، ص 10.
- (65) د. إمام عبد الفتاح إمام: هيجل، مكتبة مدبولي 1996 مجلد 1 ص 137.
- (66) م. السابق، ص 137-138.
- (67) م. السابق، ص 139.
- (68) النقد الأدبي: ترجمة هدى وصفى، ص 89.
- (69) د. زكريا إبراهيم: مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر، 1971، ص 63.
- (70) النقد الأدبي، ترجمة هدى وصفى، ص 39.

- 71) فتحى التريكي: الفلسفة الشريرة، لبنان بيروت. مركز الإنماء القومي، بدون تاريخ، ص 26.
- 72) هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، ترجمة وتعليق د. إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، ج2، ص 146.
- 73) محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني. ترجمة هاشم صالح دار الطليعة - بيروت، 2000 ص2، ص133.
- 74) د. زكريا ابراهيم: مشكلة الفلسفة، دار القلم - القاهرة، 1962 ص 8-9.
- 75) د. ذكي نجيب محمود: قيم من التراث، مكتبة الأسرة، 1999، ص 120-122.
- 76) الشيخ عبد الحلیم محمود: موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة دار الشعب، 1399 هـ، 1979، ص 141 وما بعدها ونود الإشارة هنا أن ليس كل الإنتاج الفلسفي ظني بل فيه ما هو يقين.
- 77) م. السابق ص 132-133.
- 78) د. محمد عاطف العراقي: تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية دار المعارف ط2، 1984، والحس النقدي عند ابن رشد: د. عاطف العراقي مجلة الفكر - الكويت المجلد 27 العدد الرابع يونيو 1999 ص 68.
- 79) أبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل مكتبة الرياض الحديثة. ب.ت ص 19-20.
- 80) وتمثل حركة النقد في رفض أو قبول بعض تعاليم الشريعة الإسلامية من جانب الداخلين في الإسلام حديثاً ورفض وقبول ثقافة الداخلين في الإسلام من عادات وتقاليد واعتقادات من جانب المسلمين. وأدى هذا إلى مناقشة هذه الآراء وقبول منها ما يقبل ورفض منها ما يرفض.
- 81) أحمد فؤاد الأهداف: أعلام العرب 26، 1964، ص 3.
- 82) م. السابق، ص 39.
- 83) م. السابق، ص 71.
- 84) د. سليم طه التكريتي: الحكم الصالح في نظر الفارابي، مجلة المورد العراقية المجلد 4، 1975، ص 99-100، نقلاً عن بركات محمد مراد، فلسفة ابن باجه واتجاهه النقدي، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية العدد 8 لسنة 1999، ص 98-177.

85) ابن رشد انظر تفاصيل ذلك في: تهافت التهافت ز تحقيق د. سليمان دنيا. دار المعارف ط3 1981 القسم الأول والثاني د. مصطفى النشار فلاسفة أيقظوا العالم. دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1988، ص 160.

86) ناصر ونوس: ابن رشد وعصره من زوايا معقدة مجلة عالم الفكر - الكويت، المجلد 27 - العدد الرابع أبريل يونيو 1999 ص 205.

87) انظر تفاصيل هذه المناقشات والموقف النقدي لديهم في كل من ابن رشد: مناهج الأدلة المكتبة المحمودية القاهرة الطبعة الثانية 1986، ص 70-71، ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل: تحقيق د. محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ط1، 1981، ج9 ص 338-380 وج3 ص 427-450، وج10 ص 206-202 ومنهاج السنة لأبن تيمية: تحقيق د. محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط، 1986، ج1، ص 399 ود. عاطف العراقي: النزعة النقدية عند ابن رشد، دار المعارف 1986، تهافت التهافت لابن رشد، القسم الأول والثاني، ود. الصاوي الصاوي أحمد الصفات الإلهية بين ابن رشد وابن تيمية، بحث نوقش في ندوة الأبعاد التنويرية في فلسفة ابن رشد كلية الآداب - جامعة عين شمس 1998 ص 44-21.

88) د. الصاوي الصاوي أحمد: موقف نصير الدين الطوسي بن سينا وفخر الدين الرازي في الوجود والمعرفة والأخلاق، رسالة دكتوراه لم تنشر كلية البنات - جامعة عين شمس 1992 ص 96-236 وأنظر أيضا: نصير الدين الطوسي: شرح الرشرات والتنبيهات لأبن رشد ط عمر حسين الخشاب 1325 هـ تحقيق د. سليمان دنيا - دار المعارف 1995 شرح محصل أفكار المقدمين والمتأخرين للرازي تحقيق طه عبد الرؤف سعد مكتبة الكليات الأزهرية - بدون تاريخ ومصارع المصارع - معهد المخطوطات - رقم 35 فلسفة ومنطق دار الكتب المصرية 935 فلسفة. وابن سينا: أبو الحسن بن عبد الله: الإشارات والتنبيهات تحقيق د. سليمان دنيا ثلاث أجزاء دار المعارف القاهرة ط2، 1960 والشهرستاني: جمال محمد عبد الكريم: مصارع الفلاسفة، ط1 1976، تحقيق د. سهير مختار.

89) د. أحمد حجازي السقا: مقدمة كتاب النبوات لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، مكتبة الكليات الأزهر ب.ت ص 68.

وأيضاً الشهرستاني: الملل والنحل، مكتبة الرياض الحديثة السعودية، تحقيق محمد عبد العزيز الوكيل والكتاب يعرض عرضاً مفصلاً للحياة النقدية لدى الفلاسفة من يونان وفلاسفة الإسلام والمتكلمين بجميع فرقهم.

(90) محمد عبد الله الشرفاوي: الفلسفة الإسلامية وتكوين الحس النقدي - مؤتمر دار العلوم الفلسفية الإسلامية وبناء الإنسان المعاصر 5-6 أبريل 1997 ص 27-29.

(91) م. السابق، ص 30.

(92) الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز الوكيل، ص 17 والشيخ مصطفى عبد الرازق: الدين والوحي والإسلام الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1997، ط 2 ص 24-25.

(93) الشوري، آية 13.

(94) المائدة، آية 14.

(95) د. عثمان أمين: الجوانية، دار القلم، 1963، ص 255.

(96) م. السابق، ص 255.

(97) الشيخ مصطفى عبد الرازق: الدين والوحي والإسلام، ص 33.

(98) د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: منهاج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1، 1407، ج 1 ص 469. وأنظر أيضاً السيد رشيد رضا: تفسير المنار ج 1، 198-212.

(99) نقصد هنا بنقد الدين أي نقد النص الديني المنزل من عند الله على الرسل مثلاً القرآن وأي كتاب منزل.

(100) البقرة: آية 25-26.

(101) الأنعام: آية 76-79.

(102) طه حسين: في ذكرى أبي العلاء، دار المعارف مصر 1951، ط 4، ص 289-288.

(103) د. إمام عبد الفتاح إمام: معجم ديانات وأساطير العالم مكتبة مدبولي 1995، ص 10-9، وأنظر أيضاً المرجع السابق ص 307.

(104) م. السابق ص 10-12.

- 105) د. أحمد عبد القادر الشاذلي: حركات الغلو والتطرف في الإسلام، الدار المصرية للكتاب، 1987، ص 20، وأيضا أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، الذخائر الهيئة العامة لقصور الثقافة 2000، ص 15.
- 106) أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر 2000 ص 96.
- 107) د. إبراهيم مذكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه دار المعارف، 1983 ط 3، ج 1، ص 82.
- 108) م. السابق، ص 82.
- 109) م. السابق، ص 86 وانظر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 241.
- 110) أبو حاتم الرازي: أعلام النبوة، ص 38، والمرجع السابق، ص 87086.
- 111) م. السابق، ص 88.
- 112) الأحزاب، آية 59.
- 113) سلامة موسى: حرية الفكر، مكتبة الأسرة، 1996، ج 2 ص 179.
- 114) محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني، ترجمة، هشام الصالح دار الطليعة - بيروت، 200، ج 2، ص 221-222.
- 115) د. صادق جلال العظم: نقد الفكر الديني، دار الطليعة - بيروت 1997، ج 1، ص 16.
- 116) سلامة موسى: حرية الفكر: مكتبة الأسرة، 1996، ص 117.
- 117) د. ظريف مصطفى حسين: فلسفة الدين عند جون أستورت مل قراءات ابن رشد - مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد 8 1999، ص 227.
- 118) د. حسن حنفي: في الفكر الغربي المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت ط 1، 1982، ص 295.
- 119) د. إمام عبد الفتاح إمام: معجم الديانات وأساطير العالم، ص 8.
- 120) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مكتبة الأسرة 2000، ص 385.
- 121) الإسراء، آية 88.
- 122) هود، آية 13.

- (123) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الأعجاز، ص 38-39.
- (124) م. السابق، ص 60.
- (125) م. السابق، ص 251.
- (126) م. السابق، ص 475.
- (127) المقدسي أبي محمد موفق عبد الله بن قدامة المقدسي: لمعة الاعتقاد المكتب الإسلامي، ط4، 1395هـ - بيروت، ص 18.
- (128) سورة فصلت آية 42.
- (129) يس، 69.
- (130) المقدسي: لمعة الاعتقاد، ص 22.
- (131) الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ت 384 مقالات الإسلاميين، الهيئة العامة لقصور الثقافة - الذخائر، 2000، ص 53 وأنظر أيضا الإبانة في أصول الديانة للأشعري.
- (132) م. السابق، ص 225-226.
- (133) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، دار المنار مصر، 1954، ج1 ص 198 وأنظر أيضا: فهد بن عبد العزيز بن سليمان الرومي: منهاج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط3، 1407 هـ ج1 ص 465.
- (134) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ص 195-196 وأيضاً منهاج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد بن الرحمن الرومي ص 465، ورسالة.
- (135) م. السابق ص 468، ورسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص 145-146.
- (136) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، 1949 ص 55.
- (137) د. زكي نجيب محمود: قيم من التراث، مكتبة الأسرة، 1999 ص 120-122.
- (138) د. حسن حنفي: في الفكر الغربي المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت، 1982، ط 1 ص 72-73.
- (139) م. السابق، ص 104-105.
- (140) د. محمد الشرفاوي: الفلسفة الإسلامية وتكوين الحس النقدي، مؤتمر الجمعية الفلسفية مرجع سابق، ص 31.